القضية الضائعة

لا يختلف اثنان في ان للعرب اليوم قضية ، هي قضيتهم القومية ، او قل قضية وجودهم . ولكن الناظر اليهم وما يقولون ويصنعون لا يستطيع ان يخرج بأية فكرة واضحة عن تصورهم لواقع هذه القضية . فوضعها وضع غريب لاتعرف قضية اخرى مثل ما يكتنفها من تناقض ، وابهام ، وحيرة ، ومن قصر نظر في نهاية المطاف . انهــا قضية مجهولة المــاهية ، مفتقرة الى التحديد ، ولن تجد لها حلاً او سبيلاً الى الحل ، قبل ان تتضح معالمها لكل من يعنيه امرها .

ولعل ابلغ شاهد على غموض هذه القضية ، انها قضية ضائعة . ان العناية بها نهب مقسم بين فئات ثلاث من الناس : فئة العاطفيين العالقة ابصارهم الحالمة بذكريات التاريخ البراق ، والخافقة قلوبهم بالامانة والهيام ، بينا تحجرت ارادتهم وعقولهم في ثنايا المــاضي الميت ؛ وحظ هؤلاء من فهم القضية حظ المخدوع عن الحقيقة بالظل والسراب . وفئة المحترفين للعمل القومي الذين يرون في القضية وسيلة رائجة للتأثير في الجماهير ، وورقة رابحة في مضمار المقامرة السياسية ؛ وسواء اكشف هؤلاء حقيقة القضية ام لم يكشفوها ، فالعاقبة واحدة ، لان نصيبها ونصيب الشعوب من جهودهم مهما عظمت هو الاستثمار الشخصي لا غير . وفئة الاقلية العاملة باخلاص ولكن مجهودها مشوب بالعقم لانه عموماً مجهود بغير هدف معين ، ومن ثم بغير نقطة بدء صالحة ، او لان هدفه وبدءه مختلطان وذلك لانبثاقه عن أساليب عقلية الماضي ، بحيث انه يتعطل في حلقة مفرغة كفنها التاريخ بأطماره .

على هذا النحو ضاعت حقيقة القضية العربية ، وضاعت مسؤولية مصيرها . وما كان اغناها عن هذا المآل ، لو وضعت يوماً على بساط البحث العلمي المجرد ، اذن لاتضح قبل اي شيء انها « قضية عصرية » ، وتلك بداهة قل ان تجد لها صدى ثابتاً في الاذهان على الرغم من خطورتها . فأول ما يترتب على ربط وجود العرب بالعصر الحاضر ، ان لا يقتصر النظر على ما يمس كيانهم من مشاكل السياســة والتفكك ونحوها ، ومن ضرورة التحرر والاتحاد أو الوحدة كما جرى ذلك حتى الآن . لقد ابرز هذا العصر حقيقة هامة وهي ان « ما يصنع تاريخ الامم هو الشعوب وليس الدول » ، بحيث ان الاوضاع الشكلية غدت ضئيلة القيمة بازاء القــوة الروحية في الشعوب . فان مــا احدثته المدنيــة الراهنة مــن ثورة فكرية ، يتصل باعمق الجذور في الامم ، ولذلك يتحتم اليوم اعادة النظر في ســائر اوضاع العرب من عقلية واخلاقية واجتماعية ، لان هذه الاعادة في النظر هي نقطه البدء الصالحة ، وهي الكفيــلة بابراز ما هو اخطر شأناً من مشاكل السياسة .

والواقع ان الايام اثبتت ان ما ظفرت به بعض الشعوب العربية من استقلال سياسي كان عديم الاثر في تطورها . وسيكون هذا شأن كل لون من الوان الوحدة لو تحققت ، ما دام الاساس في القضية العربية مهملا ، وهو المتركز في « التمدن » بمعنى هضم المدنية الحديثة هضما سليما .

اجل ، ان قضية العرب هي في اعمق معانيها قضية تمدن ، لان الحياة العربية بجميع مجاليها واسسها ، وبالرغم من كافة القرائن الكاذبة ، حياة سقيمة قابعة وراء العالم المتحضر ، وليس من تفسير لاخفاقها في المجال الدولي غير اغفال هذه الحقيقة . ان العرب يستخدمون الانظمة والمفاهيم الحديثة بعقليات ولغايات عتيقة ، فالديمقراطية عندهم مسخرة لخدمة الاقطاعية ، والعلم قد مسخوه جهلا مموهاً ، وأمعنوا في محاربته حتى لم يعد أحد من رجاله يوضع في موضعه ، والاخلاق ما فتئت في اعتبارهم مجموعة بالية من الزواجر الغيبية الجامدة والثقيلة على النفوس . وان حاضراً كهذا هو أعجز عن ان يُنبيء بمستقبل مشرّف .

كثيراً ما يقولون ان تقدم العرب رهن بوحدتهم . وحبذا لو يقال « لا بل ان وحدة العرب هي الرهينة بتقدمهم » . وقد يكون في تحقيق الوحدة اليوم ما يكشف عن تمايز عقلي يعوق التقدم . فالتقدم – ونعني التقدم السوي – هو الذي يصنع القوة الروحية ، وبالقوة الروحية تحيا الشعوب ، وتحقق أمانيها ومصيرها .

محمد وهبي

نيســان

« نيسان » اسم فتاة احببناها انا والليل
وعشنا معاً بعض الفصول

✡

امرأة ...

في حنجرة ريشتي كلمة،وفي صدرها سعال . فمن ذكرياتي انني خلقت امرأة : أخذت الليل ، وسكبت فيه من روحي ، فكانت نيسان تعيش على عتبتي .

*

عروسة ليل . راهبة هيكل عارية . نجرية تحمل الف درب ، وجسدها من ورد ونار . عروسة ليل .

*

قصة حياتي كتبناها أنا وشمعة تحترق . ولم ألق اخبارها لأنها عاشت في صدري . ولكنني لم اقدر ان اصنع لها عقداً من الأزرار .

*

من يشتري ريشتي وشمعتي حتى اجلب لها قميصاً مشقوقاً على صدره ، لأنني فقير ؟ لا أحد . ولم يشتر احد ورودنا .

ديك ...

أشعلت حجارة البيت يا ديك،وزرعت الفجر على الشبابيك .

*

قل لنيسان انك سهران ، يا صاحب التاج ، فقد سكبت الارجوان على الباب ، وعلى الدرب ، وعلى شفاه الغاب .

*

من ثياب المماليك عرفك الاحمر ، ومن هدايا المجوس . وعلى جناحك الف شعلة نار .

*

يا صاحب التاج والعنق المصبوغ، من يدي نيسان الوانك ، من اصابعها الحمراء .

*

أمام بيتنا الف بلد ، قل لها كلمتين . فالاميرات السمر حلمت بك . والملوك أتوا على أقدامهم يزورونك مع الصباح ،

فافرش دربك بالنار يا ديك ، والوّن الشبابيك .

الكمنجة ...

أحب شاعر فتاة من بنات القرية ، فزارها ليلة ووقف في بابها ، وكلمها عن فسطانها بانه كوخ العبير ، وعن نهديها بانهما ناضجان ، وعن شفتيها بأنهما كزورقين يحملان العطر . وعلّم كمنجته ان تحكي ذلك .

*

وكلمها عن فسطانها بانه جميل . واقترب منها ، فتراجعت عنه . فهمّ بها ، فامتنعت عليه . فمد يده ومزق فسطانها، فرأى خصرها ،ورأى صدرها،وكل جسدها . وعلم كمنجته ان تبوح بذلك

*

وكلمها عن نهديها بأنهما ناضجان . فسرت به وقالت له : قطّفهما بأصابعك ، ومرّغ بها شعرك ، ففعل . وعلم كمنجته ان تقول ذلك .

*

وكلمها عن شفتيها بأنهما كزورقين يحملان العطر فقدمتهما اليه . فأطبق عليها فمه ، وعاشا معاً بقية الليل . وعلم كمنجته ان تروي ذلك .

*

وقصت كمنجته ذلك على قارعة الطريق ، فكان المــارة يقفون به ، ويأخذونها منه ، ويقبلون له اخشابها .

صلاة ...

بوركت نيسان !
فشفتك أروع من شبابيك القرية الحمراء .
وذراعك ساقية نضار على كتف رابية .
ونهدك قارورة طيب من الزنبق والعنبر .
وساقك اجمل من لحن على قصبة بلادي ...

*

بوركت نيسان !
فشفتك مصباح وردي ، علقه الفجر في عروته .
وذراعك مجذاف أخضر فيه رائحة البحر .
ونهدك عنقود ملوّح ، في دالية سمراء .
وساقك اجمل قصة في اجمل درب ...

نقولا قربان

الزهرة السوداء

للآنسة نازك الملائكة

بغداد

كنزنا الغالي تركناه هنـا
لحظات ثم أسرعنـا اليه
والتمسنـاه وراء المنحنى
وعلى التلّ ... فلم نعثر عليه .

*

وسألنا عنه في الغابة ربوةْ
فأجابت انهـا قـد نسيتهُ
وهمسنا باسمه في سمع سروه
فتناست في الدجى ما سمعته

*

غير أن الفجر حيّى في ابتسام
وأرانا في مكان الكنز زهره
نبتت سوداء في لون الظلام
وسقاها دمعنا ليناً ونضره

*

كلما مرّت بها ريح الصباح
بعثت في الجو موسيقى خفيّه
وأنيناً خافتاً ملء الرياح
كمنت فيه دموع البشريه

*

انها زهرتنا الوسنى الحزينه
أمسنا في لونها ما زال لدْنا
فمنحنـاها مآقينـا السخينه
وحملناها مع الذكرى وعدنا

الكونية والجمالية في شعر ناظم حكمت

بقلم محمد عيتاني
من أسرة الجيل الملهم

 الفن صراع بين العفوية والكمال . والشاعر ، وبخاصة ، اذا كان مثل ناظم حكمت في غنائه الشموري ، وعمق ينابيعه ، وحرارتها ، ودفقها ، وتنوعها ، يقف على حدود هذه المشكلة ، ليرى الى اصطراع عنصري الابداع المطلق ، في اعنف معركة جمالية يعانيها الخالق . وقد لا يتاح للناقد ، مهما بلغ من عناده ، ودقة حسه ، ان يحدد كلا من هذين العنصرين ، ويعين درجته في معركة التفاعل . اذ ليست العفوية ، او انطلاق الاحساس الشعري ، والكمال ، اي انسجام الجسد الفني مع الوجدان ، وامتلاكه محتواه كما تمتلك الكأس خمرتها ، او الشفة بسمتها الناضجة ، او الزنبقة طهرها ، تبدو كلها في الرائعة الفنية كما يبدو انسجام الضوء والظل او تنافرهما في لوحة فنية . فهنا مأساة الفن مكانية ، اما الزمان ففي اغوار الضوء والظل مجتمعين ، وفيما وراء الخطوط والالوان ، بل في قصة اللوحة وشاعريتها ومدلولها ، اي رموزها البعيدة . فهذه كلها اسباب ونتائج ، اما الظل والضوء ، في اللوحة ، والنشوة والنغمة في القصيدة ، والصراع الفني الذي يهيمن على مرج الالوان والقيم ، في أي رائعة ، فليست كلها الا كريشة الفنان ، وكلمات الشاعر ، وانغام الموسيقي ، أي : وسائل .

يبدو اذن هذا الجدال الابدي الجمالي بين ينابيع الالهام وعفويتها ، وانطلاق النفس الشاعرة الملتهبة بعواطفها ومثاليتها وحماستها المتدفقة الحارة ، وبين الحد والخط والكلمة واللون والصفة الجديدة ، والحنية الشاعرة ، والوثبة المادية الذكية ، والمدة ، وكل ما هو اناقة كلمة ، وبراعة خط ، وتفرد ضربة ، يبدو هذان العنصران في تزاوج غريب وانسجام عميق واتحاد يخلق النشوة الشاعرة ، ولا يكاد الناقد يتبين حظ كل منهما في ساعة الصراع الحية التي هي القصيدة او اللوحة ..

لان الرائعة تعرض جمالاتها البعيدة الكاملة في حركة آنية مسحورة ساحرة ، وما اكثر النقاد الذين يتأملون هذه الفراشة المقبلة من دنيا الضوء ، بعيون سحرتها الاضواء البهيمة الانيقة ، فراحت تتابع في خدر ونشوة ، دوراتها الذكية حول الغصن والشعاع ، دون ان يخطر لهؤلاء ان يطرحوا على انفسهم اسئلة عن طيران الفراشة وهل تزيد نورانية الالوان على جانحيها ، وهل هي محلقة اجمل منها هادئة ، وما حظ الحركة من هذه اللعبة الطفولية ، وما أثر الظلال الخضر التي تطرحها الغصون على مجال الفراشة ، وكأنها مناديل السماء ..

الرائعة من ذرى العمل الانساني ، ولهذا فهي في مجرى الحركة والصراع ، وكل دراسة لها على هامش مجالها ونحوها ، وكل اعجاب بها منبعث عن غير جوهرها وهو يتمرس بالفعل الشعري ، انحطاط بالفن

من هذه الزاوية التي اعتبرها اول النقد ، احب ان اطل على شعر ناظم حكمت .

في الدراسة الشاملة العميقة التي كتبها الدكتور علي سعد ليقدم بها شعر ناظم حكمت* ، دعا الى ضرب من الادب سماه « الادب الواقعي » ، وهذه دعوة فيها اقوال ، ولعلها تجري في مضمار تلك الدعوة الاخرى التي يصدع بعض هواة الوعظ بها رؤوسنا في هذه الايام ، واعني بها الدعوة الى « ادب الالتزام » واعيذ الدكتور سعد من الوعظ ، فهو ولا شك مؤمن بالفعل التقدمي ، أدباً كان ام نضالا ، لانه وحده الطريق الى الانسان الجديد . واستطرد في خروجي عن الموضوع فأقول ان دعوة البعض اليوم الى « ادب ملتزم » ... الخ ... تكاد ان تصبح حركة منحرفة ينضم الى ملجأها عجزة الحرف ، اطفال الابداع ، واجمل منها ان ينشر هؤلاء علينا نصوصاً ، وقصصاً ، ودراسات ، واعمالا ، ومآثر ، ومسرحيات ، فقد شبعنا من الادعية والتمنيات ، التي

* « من شعر ناظم حكمت » مع مقدمة بقلم المعرب الدكتور علي سعد ، وجميع الابيات الواردة في هذه الدراسة هي من ترجمة الدكتور علي سعد

تدفع بقضيتهم ، لو يعلمون ، الى المجال المجرد . انني لا استطيع ان اتصور الانسان الجديد الا مبدعاً ، قادراً على فنه ، ومجتمعه ، ومصيره ، معطاء لا يأنف الفعل والخلق ، يقدم على التجارب المتنوعة ليصوغ منهـــا بطولته الحية . الانسان العربي اليوم ينتظر ابطـــالا تقدميين حقيقيين يعكفون على مجتمعهم بروح البطل المقدام ، والمجرب الواهب ، فيصورون واقعه الاجتماعي بآثار كالافعال عمقاً ، وخصباً ، وجدة ، ويهبونه فناً يكون مرآته ، وسيفه ، ورائده الى التطور الحياة .

ولكن الذي يهمنا في هذه الدراسة ليس التوجيه ، على صدقه وجدواه ، بل الصورة التي رسمها الدكتور سعد لمنابع الشاعرية عند ناظم حكمت ، هذه المنابع العفوية التي يتحتم علينا ان نستكمل صورتهـا لنستطيع ان نلقي ضوءاً على نتاج هذا الشاعر العظيم .

من الخطوط الجلية التي صاغهـــا الدكتور سعد لمنابع ناظم حكمت نرى ان الحرية احدى دوافع فنه ، وان الشاعر من روادها ، وان شعره أداة نضال بل مظهر من مظاهر هذا النضال ، والحب والحماسة والنزعة الانسانيـة ومصير الانسان ومظاهر الشمول في شاعرية ناظم من العناصر التي أولاهـا الدكتور سعد عنايته . ثم ان ناظم ، كما يقول اديبنا سعد ، يستمد من ينابيع الشعب ، ويتأوج احساسه بذلك الجو الدافق الحار ، ويختلج بنداء العدالة ، ويستقي مادته من واقع العيش العادي ، ليهتف بغلبة الحياة « ففي اعماق هـذا الشاعر تضيء شعلة من الايمان بجمال الحياة ، ومن الولاء لها . »

هذه ، على نحو موجز ، عنـــاصر الصورة الواضحة التي أنشأها الدكتور علي سعد فعبر بها عن مصادر الشاعرية الحية التي صنعت تراث ناظم حكمت ، وهي عناصر قد تبدو مجردة مجملة ، رغم ان الكاتب اضفى عليها مـا وهب من غنى في الادراك وعمـــق في التذوق والتفكير ، بل ومن حرارة لا تقل عن حرارة الشاعر التركي في قصائده ، ولكن يلوح لي ان هذه المصادر على صحتهـــا ودقتها ، محـاولة الدكتور سعد في ان تكون شاملة جـــامعة ، قد لا تكفي لنعتمدها صورة ، او مقياساً حياً ، ندرس الشاعر على ضوئه ، فنتلمس عنصر الجمال العفوي والكمال الفني ، في جـدليتهما المبدعة ، ولكنني اعترف بان هذه المقدمة التي مهد بها المعرب لعالم ناظم حكمت اضاءت لي فجوات السبيل ، وهدتني الى بعض جوانب شخصيته الفنية .

يصدر ناظم حكمت ، (الشاعر الذي استخدم طاقته الشعرية كلها في تبسيط موضوع الالهام) عن منابع لا حصر لها ولا كبح . وهي التي تخلق غناه العجيب فمأساته الفنية الخطيرة . انه يصـدر عن لهب الواقع وهزة الجوع ، ويستمد حياته الشعرية من الاشخاص المعدمين « الذين يسعون في الآفاق المحمرة وراء اعين من نار »

ويحب ناظم حكمت ان يشير دائماً الى الروابط التي تشده الى الجياع والحفاة والمعدمين من سابلة الحياة : « الشارع مقفر تماماً – كجيبي . » ، ويستمد الشاعر بعض قوته من الجو الصـامت المريب الذي يلف المدينة (المضربة) حين تفقد صوتها ، ومن الشارع الخالي : « حيث الريح تجرر على الاسفلت اسم المستر فورد » .

وبعض خطوط شاعريته تنشأ مـن لظى رفاقه في الجهاد ، حين يلقي اليهم في سجو وخشوع ، انشودة الوداع :

وداعاً من غير كلام .
فالليالي سوف توصد الباب .
والسنون ، سوف تنسج خيوطها على النافذة
ولسوف نضحك معاً في الشمس .
ولسوف نقاتل جنباً الى جنب .
يا اخواني في الكفاح
– ويا رفاقي في العمل – وداعاً .

انها وصية سجين . فظلال رفاقه تقتحم وحدته السوداء الكئيبة ، لتمـلأ قلبه وتفيض في نفسه حباً ، وتحرك شاعريته ، وتهمس له بالاغاني المنجنحة المحفوفة بجميع هذه الخيوط السحرية ، والاشياء الصامتة الدائرة ، والاصداء الميتة الخامدة ، وهذا الغبار الناعم العتيق ، يحف بحاضر تأبد كالماضي ، وماض يتوهج بحرقة النضال والعبودية ! وهو يستمد بعض مظاهر عبقريته من التناقض بين الاشيـاء : فسخريته لا تنطلق حرة الا اذا قارن في ذهنه الحاد ، بين الفكرة الفاشية مثلا وبين واقع الحياة الايطالية الشعبية ، في ظل تلك الفكرة الحمقاء . اسمعه يقول في مقدمته لقصيدة تارنتابابو : « فالدوتشي بنيتو موسوليني ، الصديق الحميم للبولوني توبليتز ، مدير المصرف التجاري الايطالي ، وفي ذات الوقت ، قيصر الاوساط المالية الايطالية ، يقول لنا في تعريفه للفاشستيه عند الحرف « ف » من الموسوعة الايطالية : « في نظر الفاشستية تتضمن فكرة الدولة كل شيء ، وبدونها لا يوجد شيء فكري او انساني . كل شيء عديم القيمة خارج الدولة » ، ولادراك النظام الذي تتحقق فيه هذه الفكرة العميقة والشاملة ، لا

ينبغي ان تذهب الى اوتيل برتولينو سبلنديد لرؤية الناس مجتمعين في صالونات تتألق باضواء تكاد تكسف شموس ايطاليا ولكن ينبغي ان تنحدر الى الاحياء الشعبية لان «الواقع ان اكثر سكان هذه الأحياء قد ادمجوا في الدولة بعزم كبير! فهم مغيبون اما في غياهب السجون ، او في مخافر البوليس ، او في مكاتب جباية الضرائب ، وهكذا فهم يعلمونهم واقعياً ونظرياً ان لا قيمة لشيء خارج الدولة»

وناظم حكمت يستوحي الفتى الحبشي البائس، ويستلهم اعماق الاخوة الانسانية وآلام الاضطهاد . وقد تغمض ينابيع ناظم حكمت وتصدر عن اغوار سوريالية ربداء ، ولكنها تمتاز عن مثيلاتها عند اندره بريتون بجو الالم الانساني ، الالم الانساني الصادق، ومناخ البؤس الاصفر الحساس الذي يؤرق نغماتها وصورها . ففي قصيدة « الرجل الذي يمشي » ترى من افاعيل الحياة العجيبة، وعجنها المصير الانساني ، فنوناً مفزعة ، حتى لا تتميز « هذا الرجل الذي يمشي » اهو جندي يسير الى العدو، ام سجين سحقه الجلادون بين الجدران الخرساء ، أم عامل هدم الاستثمار روحه وجسده ؟ ومثل هذه القصيدة « قصة شجرة الجوز ويونس الاعرج » وفيها يلمح ناظم حكمت الى الرجعية الشرقية وفي القصيدة ترى ايضاً تلامس الحياتين « النباتية والانسانية » وخضوعها لمدار عاطفي واحد وقصيدة « في الموت » حيث تتحلق احلام الموتى وتمتد في ذكريات وصور تتراوح بين الواقع والفزع والسخرية .

وناظم حكمت يستوحي الانسان، في اوسع ما تدرك هذه الكلمة ، انسان بروصة في تركيا ، وتارنتابابو الحبشة المرتعشة امام جنود الطليان :

« لقد أقبلوا يا تارانتابابو — اقبلوا ليقتلوك — وليبقروا بطنك — وليروا أمعاءك تتلوى على الرمال ! »

وهو يستوحي بيزدجي الثائر الهندي ومصائر الانسان في كل مكان ، على جوانب هذه الكرة المعذبة ، فلا يهمل « العالم الاصغر » بل يقيد نفسه الكبيرة بعبودية ذلك الانسان « الذي وضعوه في الاغلال » ولا يسمح الشاعر لعينيه ان ترتفعا الى الافلاك الوضيئة. انه يرى عظمة هذا الانسان المقيد ، هذا العبد ، ابعد مدى وأعرض مجداً من الكواكب والنجوم. ان ذرة انسانية واحدة تعدل في نظر ناظم حكمت بل تفوق بقيمتها كل ما في الكون من عوالم ومجالات .

وقد يستوحي من التاريخ التركي شخصية الثائر الفلاح الشيخ بدر الدين ، او يعكف على نفسه فيستوحي حياته في السجن ورعشاته حين أخرجوه، لأول مرة، من بين الجدران السوداء، الى نور الشمس:

وتطلعت الى السماء دون ان اضطرب .
مستغرباً ان تكون بعيدة الى هذا الحد
وان تكون زرقاء الى هذا الحد ...

ويقول موجهاً اشعاره الى المغني الزنجي روبسون :

« انهم يخشون أشعة الفجر ..
انهم يرهبون الامل .
الامل يلقي الرعب في قلوبهم !
أتسمعني ايها النسر
ذو الجناحين الاسودين ؟.
انهم يرهبون أغانينا ! »

وهكذا لم تعد فكرة الفرح ، بل حقيقة الفرح النابعة من اعماق المأساة ، وهماً تغذي به الروح واقعها ، وتزور به فراديسها المصطنعة ، ولا خيالا بطولياً رومانتيكياً تعوض به النفوس المقعدة عن عجزها وحدودها ، بل الفرح ، عند ناظم حكمت ، كما يتضح من قصائده في السجن ، نشوة انسانية يرتعش فيها الصفاء والغبطة ، لانها تنبع من تخطي العبودية ، واشراق الانسان — الذات بأضواء الحرية ، فرنين القيود ، وصرير المفاتيح ، وقهقهة الجلاد ، ونهارات الوحدة المتثائبة الكئيبة تتعانق في اعماق هذه الشاعرية ، لكي ترسم في اجواء الصمت الملهم وعلى آفاق المدى الحر ، أغنية ليس أبهى منها ولا أبدع .

وقد يحمله خياله الى اعماق الاطلنطيق ، وكأنما يرغب في ان يرود الكون كله بحثاً عن انسانية الانسان المبعثرة المعذبة ، وكأنما لا يكتفي احساسه البشري بالمدن وما فيها من مظاهر الحياة الانسانية الشهيرة ، وصور البؤس ، بل هو يتغلغل الى ابعد مجالات مآسيها فيغوص الى اعماق الاطلنطيق حيث الغرقى والغواصات و«حيث هانس مولر من مونيخ يعانق هاري طومسون من ليفربول » !

اما المرأة ، اما الحسن ، واما توقه الى هذه الشمس اللاهبة التي لم يتعمد ابداع الا بضياء عينيها ، ولم يكن خلق الا بأبجديتها ، فتراه في رباعيات ناظم حكمت وقصائده التي يتوحد فيها طيف امرأته بأمجاده المثالية التي يقدسها « فحسناؤه في لحمه وعظمه » وهو يغنيها اروع ما في عواطفه من صدق وحرارة، وهو يتحدث اليها في سجنه وكأن خطوط محياها ماثلة على الجدار، او كأنها ترتعش « قرب الشجرة الصغيرة » في

الحوش، او كأنها تحرك هذه المدفأة وتمس بأناملها جرته الخزفية المستندة الى الجدار.

ان وجود الحسناء الزكية يملأ سجن ناظم حكمت، وما اقدره في شعره على وصف هذا الوجود والايحاء به وبثه وتصويره حتى لتحس بـه محرقاً بين السطور، ففي خشوع العاشق ونشوة السجين المؤمن الذي يحب قيده ويقدسه لانه يرى فيه تجسيد قضيته الكبرى، توحدت حسناء ناظم حكمت مع مثاليته الانسانية التي يحياها ويمجدها ويهبها اعماق نفسه وحرارة نشوته كلها. هنا حيث تختنق في صدر ناظم حكمت نشوة الغناء، بحدود الجدران:

«وفي مغيب آخر ايام عمري
سوف اراك وأرى اصدقائي
ولن احمل معي تحت الثرى
غير حسرة الاغنية التي لم تنته!»

لا! لم يوفق قط شاعر غني مثل هذا المنجم البهي الاغـوار، الاسطوري الكنوز، فجعل يغرف منه، كالمهدد بالفقر الابدي! حين تعيش النفس في اعمق لحظاتها، مع شاعر سجين، يحمل في جوانحه الكون، وينعكس على جدران سجنه، وفي حنايا نفسه، وصفاء عينيه، وفي زرقة السماء، ولهب الشمعة المسلولة، ورنين القيـود، وضحكات الحراس، ومرور البجـع بين الغمام، ينعكس في كل هذا طيف تلك الحسناء البعيدة:

لقد حفرت اسمك بظفري
على جلد سواري
فأنت تعلمين انه لا يوجد
في سجني أية سكين ذات مقبض صدفي
«ممنوع استعمال الادوات القاطعة»
ولا شجرة شربين ينطح رأسها السماء.
نعم. انه يوجد في الحوش شجرة صغيرة.
ولكن ممنوع حتى على الحساب.
ان يعلو رؤوسنا!!

وما اعظم نبرات الشاعر حين يجلس في سجنه يحلل ايامه الحبيسة، ويداعب يأسه. فثمة يتعانق التوثب بشهوة الحرية فاذا بها نوع من الوجد الصامت العميق، ولعل ينابيع السجن، بكل ما يحيطها من تفاصيل يومية، ودقائق، وملامح وعاديات وحسرات وآمال، ان تكون اغزر ينابيع ناظم حكمت، فهذه القصائد تضعه بين اعظم شعراء العالم، بين اولئك الذين عانوا قضية الانسان وكانوا بحياتهم وشعرهم اصدق تعبير عن مأساة الحرية.

وقد لا تكفي كلمات «الحرية» و«العبودية العظيمة» وحرقـة القلب الشاعر للتعبير عن هذه الينابيع الحية التي يغرف منها ناظم حكمت، وبوسعك ان تقول ان رسائله وقصائده في السجن من اصدق الشعر وأحفله بالحرارة والجمال. وبعض هذه القصائد جميل حتى ليطالعني اليأس حين احاول ان اعطي القارىء فكرة عنه. ففي هذه القصائد تنبض عفوية العاطفة الشعرية وترتج في عصب الكمال:

لو ارسلت لي مدينتي استانبول.
بواسطة المبعوث السيد نوري
صندوق عروس، صندوقاً من السرو
ولو فتحته تاركاً جرس القفل
الصغير يرن «تششش!»
فيخرج منه لفتان من كتان شيلة
وزوجان من القمصان
ومناديل بيضاء مطرزة بالفضة.
وأزهار لاوندفي كيس صغير من التيل.
وأنت
لو خرجت انت من داخله

فسأجلسك على السرير
وسأضع تحت قدميك جلدي
المخيف كجلد الذئب !
وسأبقى أمامك خافض الرأس
معقود اليدين .
سأتأملك مسحوراً .
كم أنت جميلة يا إلهي ! كم انت جميلة !
ففي ابتسامتك هواء استانبول وماؤها
وفي نظرتك صبابات مدينتي .
إيه يا سلطانتي ، ايه يا مولاتي !
لو أنك سمحت ولو تجرأ عبدك ناظم .
فسيكون كمن يتنشق ويقبل استانبول
على خدك !

ولا يكتفي ناظم بحسنائه التي تملأ عليه ابعاد سجنه ، بل لعله يكشف في قصيدته « ذبحة صدرية » عن بعض ينابيعه الانسانية الشمولية ، فالشاعر المريض يقول عن قلبه « ان نصفه بين يدي الطبيب ، ونصفه الآخر في الصين مع الجيش الذي ينحدر نحو النهر الاصفر ...

لكل هذه الاسباب ، ايها الطبيب
وليس بسبب تصلب
الشرايين ولا النيكوتين
ولا السجن .
تنتابني الذبحة الصدرية .
انني أتأمل الليل عبر القضبان الحديدية
ورغم كل الجدران التي تقوم على صدري
فان قلبي يخفق مع ابعد نجم في السماء!

***

وقد تخفق ابيات ناظم حكمت مع ابعد نجم في السماء ، لمرأى الاقدام الحافية ، ولواقع الريف التركي البائس ، « حيث القروي اكثر موتاً من بغلته العجوز ، والضياع من لبن ، والبيوت واطئة ، مكفهرة الوجوه ، وحيث الفلاح ذو الوجه الترابي يريد ان يتشبث بآخر قيراط من ارضه ، مع ولده ، وابنته وامرأته اللتين تحملان في وجهيهما آثار اظافر الجابي »

ومع عربته التي يجرها ثوران .
ويريد لو قيد له أن يموت
ان يموت معهم وأن يدفن هنا معهم!

***

هذه هي المصادر الحقيقية الوجدانية لشاعرية ناظم حكمت ، وهي كما يرى القاريء ، كون بل اكوان من الاحاسيس وانهار عامرة دفاقة استطاع الدكتور علي سعد ان يقني لها في العربية مجاري وحقولا . ولكنني اتساءل : كيف تنزل هذا الكون في القصائد والابيات ؟ أي كيف كانت الجدلية والصراع بين عفوية هذه المنابع العجيبة الحارة العارمة ، وبين الكمال الفني ؟

سأحاول تصوير هذا الصراع عند ناظم حكمت ، بالتغلغل الى صميم الفعل الشعري ، ففيه تكمن قدرة الشاعر ، وبه لا بسواه من الدوافع الفنية والمظاهر الفكرية نستطيع تحديد هذا الخلاق .

***

يجابه ناظم حكمت موضوعه بصراحة لا يعتورها الغموض وقصيدته (١) تبعث فينا الرعشة الانسانية من ترديد مظاهر الجمال الثائر المدمى . وتستوي جمالات قصيدته من تجمع هذه الكلمات ، ومن الصدق في التصوير ، وتجـلي انسانية الانسان الطريد الممزق تتردد في تموجات ابيات القصيدة ، فيمتزج فيها الاسى والبطولة بلهيب الصراع وكآبة المشانق

وقد تجيء قصيدته (٢) تعبيراً عن اعماق هذا العالم الانساني الواسع من التشرد والحنان والصرخات المجنونة تتوهج فيها فجأة صورة المرأة – زوج ناظم حكمت – التي نراها متوحدة مع الام والاخت والبنت اي مع كل ما يجعل من المرأة حقاً وجمالا وحناناً .

ثم تشرق صورة الجمال من هذه الذكرى فتضيء الشمس على جبين الحبيبة :

ايه أنت ، يا من تحملين الشمس
على جبينك
أيتها الطفلة الحلوة التي عيونها من ذهب

ويعلن الواقع عن نفسه في أبيات متفاوتة في الطول والقصر ، وكأن ناظم يريد ان يحاكي لهجة الحديث العادية ، ولكن الالتماعات الفكرية الذكية ، تنبض فجأة في احشاء هذا الحديث وفي سياق القصيدة لتشدها الى جمالية الشعر . فبعد ان يسترسل الشاعر في قصيدة « البنفسجات الصهباء » في الحديث النثري عن « القطار الاصفر ، ذي الحافلات الخشبية ، تتصاعد منه روائح العرق واللحم والتبغ » يحلق فجأة الى ذروة الشعر فتنبض اوتاره « بصورة الطفلة الحلوة التي عيونها من ذهب » ، ولا يعني هذا النهج ان قصيدة ناظم حكمت تتراوح بين الحالة الشعرية الصافية ، وقفزاتها السحرية ، والصورة الجديدة المبدعة ، وبين مهاوي النثر وعاديته فمن خلال قصيدة حكمت نرى ، وأحياناً بكثير من الوضوح ، ان الشاعر يتعمد اسلوباً بارعاً في سرعة الانتقال من وتر الى وتر ، ليقلب موضوعه المستمد من الحياة ، ويبدي جمالاته التي كثيراً ما تحوي وفقاً لجمالية الشاعر ، صوراً عادية صريحة ، من حياة الواقع ، وخطوطاً وتفاصيل وجزئيات يراها بعض الشعراء من فتات

(١) الاحشاء المقدسة (٢) البنفسجات الصهباء

الحياة ، ويراها ناظم حكمت صلات تربط بين الانسان الشاعر وبين حياته اليومية التي يعرف كيف يستلهمها. ولذا يعمد ناظم حكمت في خطوطه الشعرية احياناً الى البساطة فيحمّلها لا نهاية العالم الشعري :

«فان لم أحترق انا – وان لم تحترق انت
ان لم نحترق كلنا – كيف يمكن
للظلمات – ان تصبح ضياء ؟» (١)

ونجد هذه الخاصة ، خاصة اعتماد البساطة في التعبير ، في جميع قصائد ناظم حكمت . ولكن للقصيدة الى جانب هذه الملامح ، حركة اخرى قد ترتدي طابعاً نفسياً جمالياً رفيعاً : فبعد ان ينفي الشاعر من قصيدته (٢) الوردة ، والبلبل ، وضوء القمر ، ويطردها من قلب الشاعر ، لانشغاله بمثالية اكثر انسانية واعمق ثورة ، يتحرك الذكاء ، وحدة الذهن اللاذع الساخر ، ونرى من هذه الحركة أمثلة في جميع قصائد ناظم حكمت :

« فالآن ، نحن نهزأ بقضايا القلب
وانك تستطيع ان تعهد الينا ، بامرأتك
وأنت مطمئن ! »

ولكن القصيدة لا تنتهي على هذا النحو النثري بل ترتفع كالأغنية المتصاعدة نحو ذروة شعرية رفيعة تهدر فيها المثالية الحية :

« وكتفاً لكتف مع برج الحرائق
نحن نسعى ، في الآفاق المحمرة
وراء اعين من نار . »

وقد يعلن الشاعر في مجرى قصيدته عن جماليته ، وذلك انطلاقاً مع حسه الانساني الواقعي ، وتقديساً للثورة الانسانية التي تتضمن ايضاً ولا شك ثورة في مقاييس الجمال، وهذا ما فعله في قصيدة « بيير لوتي » و« الرسالة الثالثة الى تارانتا بابو » و« بروميتوس » وسواها .

وفي قصيدة «الثلج يسقط في الليل» هزت الشاعر ثورة انسانية عارمة حين ألمت به أشباح المقاتلين . وهو يعترف بل يجهر بان حرارة المعركة ، وظلال المشانق ، وصرخات الجنود شغلته عن تلمس القافية تلمس الجوهري :

لا سماع صوت من العالم الآخر ،
ولا صوغ الدنيا العجب – في نسيج السطور – ولا تلمس القافية تلمس الجوهري – ولا اقوال حلوة، ولا ريشه مسحورة –
هذا المساء ، ولله الحمد – انا أرفع ، أرفع بكثير من كل هذا .
هذا المساء أنا مغن من الدروب – ان صوتي عار لا صنعة فيه ، هو صوت يغني لك اغنية لن تسمعها !
الثلج يسقط في الليل .. وأمامك جيش ، يقتل أجمل ما نملك :
الامل ، والحنين ، والاولاد ...

والشاعر التركي اذ يعلن هذه الجمالية الجديدة المستمدة من لهب الحقائق الانسانية الواقعية وصورها ، يتمسك بعفويات من اجلها سجن اثني عشر عاماً ،

نحن لم يعد لنا في بطوننا
مكان للوردة ، والبلبل ،
والروح ، وضوء القمر ..

او :

لم يعد لي حيلة . فالاصدقاء كانوا جائعين . فأكلنا ثمن البنفسج !

وقد تتحرك قصيدة ناظم حكمت بنفَس شعري أعجز كثيراً من الشعراء واعني به السخرية ، فاكثر الشعراء لا يعرضون القصيدة لهذا الكشف النفسي الذي يذيب الجمالات الفنية من نغمية وبصرية مصطنعة تعتمد الانسجام والاجواء، فالخروج الى الانساني الصرف ، واعتماد الذكاء ، خاصتان من مواهب عظماء قلائل. فشكسبير، والمتنبي، وناظم حكمت ، بلغوا من قوة الشاعرية ، وكمال المعرفة الانسانية وصدق التحكم في اوتار الشعر ما جعلهم يعتمدون السخرية مظهراً من مظاهر الجمال والتعبير :

في المدينة التي اضاعت يقول ناظم حكمت :

« لا يزال الشارع مقفراً ،
فاركض فيه من طرف الى آخر
هو الشارع
مرّ فيه من رصيف الى آخر
مصفراً بنغم ، وحاكاً رقبتك
مر ، فلا خطر عليك من الدهس
الريح تجرر على الاسفلت اسم المستر فورد ...
واعلان منتزع من الجدار ،
يزوبع في وسط الطريق

وفي هذه القصيدة تلوح براعة ناظم حكمت في التصوير ، وفي جمع الخيوط الواقعية التي تؤلف صورة مريبة لمدينة أضاعت صوتها (المدينة المضربة ..) وهو يعتمد فيها ابياتاً قصيرة واضحة الصورة، يلقي الكلمة بمثابة بيت ، ونسيج القصيدة المتفاوت يوحي الينا بمتحدث يتخلل حديثه بالضحك المتواصل :

اما السخرية فلعلها ان تكون اكثر بروزاً في الرسالة السابعة الى تارنتابابو حين يداعب المقاتل الحبشي زوجته فيقول:

(١) قصيدة « مثل كريم »
(٢) في قصيدة « بروميتوس »

« ان الاسئلة المزدحمة عندك
على رفوف الرأس ،
كالقناني المسدودة
لا تتجاوز الثلاثة او الاربعة عداً
أنت ، التي تحاكين في جهلك
استاذاً للقانون الدولي العام . »

وفي « رسائل الى تارنتا بابو »وجدها صديق لناظم حكمت في أحد الفنادق الشعبية بروما تروعنا صورة هذا الفتى الحبشي الذي يخاطب زوجه في الحبشة ، ففيها تزعق صورة الاستبداد البشع ، وصورة المستبد الدموي اثناء الحركة . وبريشة بارعة ، وصدق ، ودقة ، يصور ناظم حكمت فظائع الفاشيين في الحبشة من خلال حديث فتى الى زوجته،هكذا تصبح حقائق الشعوب ،وفظائع المستبدين ، وهذا الأسى الانساني البطولي ، مادة شعرية تلهم أبيات ناظم حكمت وصوره فتتجلى نابضة بدقة الحياة اليومية وروعة الجدة والجمال :

لقد اقبلوا ياتارنتابابو – اقبلوا ليقتلوك – وليبقروا بطنك – وليروا امعاءك تتلوى كالأفاعي الجائعة – لقد اقبلوا ليقتلوك يا تارنتابابو – انت وعنزاتك – لقد اقبلوا ، هم ، هم الذين لا يعرفونك – كما لا تعرفينهم أنت – ولا عنزاتك التي لم تعتد يوماً على سياجهم – لقد إقبلوا في لهب الحرائق – واحداً واحداً انهم يأتون يا تارنتابابو – اولئك الذين ارسلوا ليموتوا ويقتلوا – معلقين صلباناً من الحديد – على ضمادات جروحهم الدامية – ويوم يعودون الى بيوتهم – في روما ، المدينة الخالدة – مدينة العظمة والعدالة – سوف ترتفع اسعار الاسهم والسندات – وفي اثر الذين سيولون – سيأتي السادة الجدد – ليجمعوا الشهد من موتانا ! »

وظاهرة اخرى اراها من روافد عبقرية ناظم حكمت وهي التمرس العميق بتفاصيل الحياة اليومية والالوان المحلية في ارجاء العالم ، وكأن الشاعر يبتعث خصائص المناطق المختلفة في وطن واحد هو العالم ، فها هي الحسناء الحبشية تحمل صفوفاً ثلاثة تشكل عقداً من اسنان الاوز الازرق . والشاعر لا يهتم بهذه الالوان المحلية الغريبة ، لجمالها وطرافتها ، كما يفعل لوتي وسان بيير ، بل تحس من خلال صور ناظم حكمت وحديثه ، بتلك المحبة الانسانية الدافقة التي يضفيها على اولئك الناس في جميع مجاهل الارض .

ولكن الرسالة الثالثة الى تارنتا بابو تتحرك بجمالية ابعد غوراً وأصلب مراساً من الصور والاشكال .

ولا شك في ان ناظم حكمت يصوغ اروع الصور الفنية ويوفق الى ادق الخطوط واحفلها بالحيوية والعظمة حين يجابه المستبد :

الهدف قبالتنا ، هناك قريباً جداً
قريباً جداً فانظروا
انظروا ، فقد اصبحت معدودة
الايام التي لا تزال تفصلنا عن الحرية
وانظروا بعث الشرق ، يقبل من بعيد
ملوحاً بمنديله المضرج بالدم

ولكن ناظم حكمت يوفق اكثر فاكثر حين يصور انتفاضته على الجماليات القديمة . ففي « تارانتابابو » انتفاضة على جمالية روما ، وفي قصيدة « بيير لوتي » ثورة على جمالية الغرب في نظرته الى الشعوب ، وفي القصيدة الاولى نرى الفتى الحبشي الذي احتل الفاشيست بلاده ، الطليان ابناء روما الخالدة والفتى الحبشي بحث عن روما في روما فلم يجدها : « طيلة اشهر ، لم يبق باب الا طرقته ، وانطلقت شارعاً شارعاً وبناية بناية ، وخطوة خطوة ، افتش عن روما في روما ! »

فماذا وجد؟ لم يجد روما المجيدة حيث يحس الانسان بانسانيته تربو ، بل رأى انتحاراً بطيئاً دامياً لجمالية القرون الوسطى العتيقة . لقد خفت صوت دانتي ، وماتت روائع ليوناردو ، وحنطت في المتاحف ورفائيل شنق من عنقه الشاحب على جدران احدى الكاتدرائيات ، ورأى فتى الحبشة كل هذه الجمالات التي تشكل عظمة روما الزائفة وقد زالت ، ولكن صورة الحرية تشرق في آخر القصيدة وتتوهج في نفس الفتى الحبشي المتجول في ارجاء روما المتحجرة ، لانه يلمح ظل سبارتاكوس بطل العبيد الثائرين ، وهذا الخط السريع الذي يختم به ناظم حكمت قصيدته من أدق الخطوط دلالة على ثقافته وطريقته في الربط بين احداث التاريخ وابتعاث الجميل الرائع من نسيج الدهور . وأي أمل بالخلاص في نفس الحبشي الاسود اعمق واعظم من صورة سبارتاكوس العبد الذي فك اغلاله وراح يرود في ضواحي روما ؟ انها صورة بارعة تصور الحرية الناصعة في سبارتاكوس الاسود ، وكيف تتجلى بطولية منتصرة ، وكأنها ترمز الى الانسان المستعبد ، في هذا السجن الكبير الذي يسمونه العالم ، الانسان الناهض لتحطيم اغلاله واستعادة انسانيته وكأن هذه الصورة في نهاية القصيدة ضربة الفرح الاخيرة ، في سمفونية متناوحة مؤرقة !

محمد عيتاني

جواز مرور

مهداة الى عبد الملك نوري

بقلم عبد الرحمن نايف المحامي

قصة

احست بما يشبه الذل يتململ في نفسها . وانتابها شعور عميق حزين، وسادتها رغبة شديدة في البكاء، وبدا لها الليل خلف النافذة مظلماً، ساكناً، مخيفاً.. كل شيء فيه يدعو الى القلق.. القلق الذي يمضغ النفس ويعبث بها، كما لو كانت لقمة شهية بين فكي جائع محروم. حتى ان النسمات الندية التي كانت تمر بالبيوت (الشريفة) المجاورة، كانت تحمل في اعماقها الرعب والرهبة .

اسندت وجهها على راحتيها واستغرقت في تأمل عميق، كانت تود ان تخلو الى نفسها في ساعات الفراغ من (العمل) لتستعيد ذكريات حياتها الماضية.. حياتها في قريتها الصغيرة في الجنوب ... مع الخراف والابقار، والحقول الخضر الموشحة بالسنابل، والوهاد والوديان، وعواء الكلاب المنبعث من القرى المجاورة، خلف الروابي والتلال، واغاني الفلاحين ذات اللحون الحزينة، والسواقي والجداول الصغيرة، وترعة المياه ذات الخرير المبحوح، ولداتها حاملات الجرار اللواتي يرفلن بأثواب فضفاضة حمراء وصفراء وخضراء، والسوق الصغير الضاج بالقرويات بائعات البيض والدجاج والسمن والروبة .

تلقفت اذنها طرق الباب. زاغت عيناها. اصابها ذعر شديد. لقد اذاقها رجال الشرطة اهانة شديدة تلك الليلة. كانت ليلة سوداء في حياتها. ولولا امها — امها في الدار — لقضت ليلتها في الموقف.

دخل رجل بدين، تسبقه رائحة الخمر. تنهدت . لم يكن في البيت احد سواها، وسوى اختين من الشمال. وفي الركن المظلم وعلى كرسي صغير تجلس ام وداد بوجهها المخدد المهزول وبجسمها الضامر النحيل. وكان «سعيد» يتربص خلف الباب، يحمل بيده المفاتيح ويبصبص من ثقب الباب «اتفضل، اتفضل عيني، هله، هله بالورد» وكان الكلب الصغير يغط في نوم عميق.

كانت تكره «سعيد» اشد الكره، ولم تحاول ان تسأل نفسها عن سبب ذلك الكره، لكنها كانت تبغض في اعماقها كل من يحمل هذا الاسم «سعيد» هذا هو اسمه ايضاً. ذلك الذي زرع فيها اول بذرة للشقاء. يا له من رجل خبيث، دخل الى حياتها خلسة، وخرج منها خلسة ايضاً، كأي حلم مزعج مفزع. هي لا تعلم على وجه التحديد كيف دخل، وكيف خرج، كل ما تذكره انه مر بحياتها مروراً غير كريم. كان «سعيد» يرتاد قريتهم في اوقات متفاوتة، وله فيها مساومات وعقود.. انيق وسيم. غني.

طفرت من عينيها دموع ساخنة احست بكويها على خديها. مسحت دموعها بيدها. اخرجت علبة السكاير من محفظة صغيرة سوداء. اخذت تدخن. نفثت نفساً طويلا. كانت تحس بانها فقدت كل شيء في الحياة، ولم تعد تصلح لشيء، هي امرأة، امرأة تافهة، تعيش على الفتات، حدود حياتها لا تتجاوز هذا البيت المفزع. هي لا شيء، لا شيء بالمرة. ومع هذا فهي تموت في اليوم الف مرة. كومة من رماد عبث بها الريح في يوم عاصف.

استلقت على القفة. نشرت العباءة على ساقيها. لا يزال الرعب يقبع في صدرها، ويلازمها طوال ساعات الليل وينهشها كلما سمعت طرقاً على الباب. كانت ليلة سوداء حقيقة، مسكها الشرطي من ضفيرتيها وضربها بهراوته الثقيلة على كتفها، كانت تصرخ . «زكية» كانت تبكي وتولول. كلبهم الصغير كان يعوي متوجعاً، المسكين اصابته رفسة من بصطال احد الشرطة. اما سعيد وساجدة فقد اختبأ (بالبيتونة) اثنان من اصدقائهم فرا من السور، احدهما تسلق النخلة. كانت ليلة سوداء، اوه انها تموت في اليوم الف مرة. لهذا لم تعد تتحمل العيش وارادت ان تغير حياتها، حياتها التافهة، ارادت ان تبتعد عن هذا البيت المعرض للتفتيش، ولقسوة الشرطة. انها تنشد الاستقرار والطمأنينة. هي تعلم انها لا تساوي شيئاً، ومع هذا تريد ان تستقر لهذا ليس عجيباً حين عزمت صباح تلك الليلة على امر جديد وهو الحصول على الاجازة، اجازة الاحتراف: لقد ذهبت الى «الارضحالجي» وطلبت اليه ان يكتب لها عريضة، ورجته ان يبذل جهده باختيار كلماتها، ولو انها كانت تفضل ان تكتبها عند الشاب المجاور الذي كانت تعتقد بانه احسن من هذا العجوز الذي لا يجيد تنميق الالفاظ ولا يتقن تزويق العبارات، ومع ذلك فحين اعاد عليها قراءة العريضة احست ببعض الارتياح. انها تذكر انه كتب «استرحم من سعادتكم الموافقة على منحي اجازة احتراف البغاء وذلك لعدم وجود من يعيشني، وليس لي محل التجيء اليه.. وبذلك تنقذوني من التشرد والشقاء». اشد

ما كانت تخافه هو ان يرفض طلبها، وبذلك يحكم عليها بالموت، الموت البطيء في هذه الدار الرهيبة المحاطة ببيوت«الاشراف».

تثاءبت وتمطت. كان الرجل البدين الذي تسبقه رائحة الخمر يخرج من البيت. سعيد يقفل الباب بالمزلاج، كم تتمنى ان تقذفه بقبقابها. ام وداد تعد النقود (الشغل اليوم طرهات) لقد انتهت سهرة الليل الطويل. انقضت ليلة، انها تعد الليل ساعة فساعة. الصبح لم يبق من مولده الا بضع ساعات. الصمت المطبق يجثم على الرواق، والممر الضيق يسبح في ظلام دامس الغرف بدأت تفقد نورها، المصابيح اخذت تموت واحدة فواحدة

حملت العباءة على يدها. واتجهت نحو السلم. استلقت على السرير، وحاولت ان تنام، عقدت يديها على صدرها، عاودتها ذكرياتها القديمة. القرية، الفجر، ابوها يصلي. الديك يصيح، ووشوش في اذنها صوت امها «عذابه .. عذابه بنتي كومي. على الحليب .. كومي احلبي البقرة، فتسرع نحوها ويستقبلها الدجاج، ويهزهز مسرور كلبهم الصغير ذنبه ويتمسح باذيالها وتعبث هي بشعره الطويل، وتهب عليها من الحقول نسمات باردة محملة برائحة السنابل. كانت حياتها بالقرية مليئة بالطمأنينة، مليئة بالراحة، كل من كان حولها، من اناس وزرع وحيوان كان يوحي لها بالطيبة والدعة. الناس هناك لا يعرفون الحقد، ولا الخمر ولا العربدة ولا يميلون الى السهر المكتظ بالرذائل الزاخر بالفسق. والزرع هناك: الاشجار الباسقة تحتضن بظلالها المنهكين والكادحين، والحقول تهب الخير للجائعين والمحرومين. بل حتى الحيوان هناك يجتاز بالطيبة. كل شيء هناك بريء، ساذج ليس فيه من الشر شيء، حتى تعرفت على سعيد، يا لحظها المنكود، اوه كيف حدث ذلك؟ كيف حدث ؟هي لا تدري.

احست بدوار شديد في رأسها، وحـاولت ان تغمض عينيها وأن تبعد عن مخيلتها هذه الذكريات التي كانت تمضغ نفسها مضغاً. ارادت ان تبتعد .. تبتعد عن المـاضي السعيد ارادت ان تنسى كل شيء، تنسى حياتها الهادئة حياة القرية الهاجعة. حاولت كثيراً حاولت ان تمحي عن مخيلتها صورة الشروق، مولد الفجر، الحقول، الجداول، الغناء الحزين. الناس. حاولت ان تبتعد، تبتعد عنهم، وتعيش لحياتهـا الحاضرة. بيدان المعالم لا تزال ماثلة امامها، بل انها لا تزال تعيشها.

نهضت من الفراش ومدت بصرها نحو الشارع الطويل. الليل الاسود يحضن كل شيء، والمصابيح العالية ترسل مـع السكون ضوءاً باهتاً. وظلال الاشجار الباسقة تتراقص على طول الطريق كأنها اشباح ضخمة. البيوت هاجعة ساكنة الناس فيها يتمتعون بنوم عميق، الا هي، وحانت منها التفاتة الى البيت المجاور. البيت (الشريف) المجاور الذي تسكنه العائلة الصغيرة. الزوج والزوجة وطفلهما. لقد شاهدت امه منذ ايام تحمل الطفل على صدرها وتداعبه وتدلله.. آه كم تمنت ان يكون لها طفل صغير مثله «ماما .. ماما .. ماما» كم يلذ لها ان تسمع هذا النداء من طفل صغير. هذا النداء الذي حرمت منه الى الابد، آه لو كان لها طفل يدعوها «ماما .. ماما ..» لفدته بحياتها لقدمت له نفسها يعيش عليها، لتجرعت الجوع والفقر من اجله، بل حتى مصائب الدنيا كلها من اجله هو، آه لو كان لها طفل لاطعمته بيدهـا ولغسلت ملابسه الصغيرة، ما اجمل ثيابه، اوه انها تتمنى، تتمنى فقط، قبلة واحدة على وجهه الصغير الحبيب تساوي عندها الدنيا كلها .. كلها. كم تتمنى ان تعيش في كنف رجل، رجل يخصهـا وحدها، وفي بيت صغير، بيت صغير اوه انها تتمنى ان تعيش في كوخ صغير تقاسمه العيش، وتشاركه من آلامـه وآماله، لو كان لها رجل يخصها لبثته آمالها! من اين تأتي بهذا كله وهي في هذا البيت الرهيب، آه كانت ليلة سوداء، مسكها الشرطي من ضفيرتها وضربها بهراوته الثقيلة على كتفها. كانت تصرخ، زكية كانت تبكي وتولول، كلبهم الصغير يعوي، المسكين اصابته رفسة من بصطال احد الشرطة. اما سعيد وساجدة فقد اختبأا (بالبيتونة) اثنان من اصدقائهم فرا من السور. واحدهما تسلق النخلة.

عادت الى السرير واسندت رأسها على حـافته. وضعت الوسادة تحت كتفها وحاولت ان تنام.

مركز الشرطة. افواج من الناس تخرج، وافواج تدخل، الحارس متكيء على الحائط وقد اكتسى وجهـه بقطع من التعب. اربعة من الشرطة يمرون بالرواق الطويل، احذيتهم الثقيلة تدك الارض بوقع ممل. رجل نحيف في الزاوية يبصق على الارض. احد النشالين يتطلع الى صورته المعلقة على الحائط بعض النسوة يثرثرن بصوت مسموع «اشلون دائرة عيني؟ سائل ومسؤول ماكو.. استغفر الله العظيم، سنة، سنة صار لي اراجع (والعباس) وقفت هي بضعة دقـائق في الرواق الطويل، تتطلع الى وجوه الناس، وكان في نفسها شيء من

عودة الربيع

تمشين فالدرب ترفّ ، والحيـــاة تطفر
وتخطرين فالندى على الرصيف أبحر
تمشين يا تمشين يا يا يسلم التبخـتر
القد غصن ينثني والسحر عين تنظر
وفمك المبتلّ بالطيب ، شذا مكوثر
ميدي فللقلوب تسبيحٌ ، وبوح مسكر
ميدي،تعالى العُري،وانساب الربيع الاخضر

☆

الى سمراء

سمراء بل هيفـــاء بل خيط من العبير
بـــل كدس ورد ريّق يموج بالعطور
تمـايلت فرفّ الاشتهـــاء في الصدور
وخطرت فللمنى رقص على الثغور
بعض جحيم جـــائع يسعى على السرير
اضمهـــا ضم الدنـــان السمر للخمور
فترتمي على يـدي اضمـــامة من نور
تأكل من أصالعي تقتـات من شعوري

احمد ابو سعد
من اسرة الجبل الملهم

من ديوان « قصائد دافئة » الماثل للطبع

الخوف . مركز الشرطة يدعو الى الرهبـة والخوف ، كانت صور غريبة تجول في مخيلتها (الله .. آني شورطني) وبدأت تمر بالغرف : وجمعت اكثر من توقيـع وحصدت اكثر من تأشير . ولم يبق الا واحد فقط واحد عند شخص كبير وينتهي كل شيء . نقرت الباب برفق . كان في اعماقها خوف شديد . اجتـازت بضع خطوات . وقفت بجوار المنضدة . الكاتب الكبير غارق بين الاوراق والملفـات . رائحة الغرفة مشبعة بالرطوبة . حاولت ان تتكلم ، كانت الكلمات تموت على شفتيها . ابتلعت ريقها تمتمت (من فضلك !) مدت يدها ، تنبه الكاتب الكبير الى وجودها ، فرفع رأسه اليها ، ونظر اليهـا نظرة جامدة . شعرت بخجل شديد يأكلها ، وتمنت لو انها تموت في تلك الساعة . انه ينظر اليها ، ومن يدري ماذا يحمل في اعماقه؟ انه يحتقرها يحتقرها لا شك في ذلك ، ان نظراته الجامدة تكفنها بالذل وتقذفها بالحقارة . انتظرت بضع دقائق دون ان تتكلم . احست شيئاً يموت في نفسها . اعاد الدفتر اليها وخرجت تتعثر . الساحة العريضة تتوهج . الحارس المنهك يتكىء على الحائط . والريح اللاهب تهب جـــافة يابسة . الشارع الطويل يزدحم بالسيارات ... ومضت تبكي ، تبكي حياتها الماضية التي قبرتها الى الابد ... الى الابد لتستقبل حيـاة جديدة ... لا تعرف عنها اكثر من هذا الدفتر الذي يحمل صورتها الشاحبة الهزيلة . صورة كصورة الاخريات اللاتي يبعن حياتهن .

بغداد — عبد الرحمن نايف الحامي

المكان والوجود في فن التصوير

بقلم شاكر حسن سعيد
من جماعة بغداد للفن الحديث

يعتبر الفن التصويري * من الفنون التشكيلية Plastic arts كالعمارة والنحت، ومن الفنون المنظورة visual arts كضروب فن الزخرفة والصناعات اليدوية. كما انه يختلف اختلافاً جوهرياً عن فنون اخرى تدعى الفنون الزخرفية كالموسيقى والفن القصصي. ذلك ان مجال التصوير وباقي الفنون التشكيلية هو (المكان) او الابعاد في حالة تشكلها، بينما (الزمان) او اللحظات في حالة تسلسلها هو مجال فن الموسيقى والقصة واضرابها. وهذه لا تتوسل (بالنظر) في بناء العمل الفني.

فالعالم الذي يخلقه الرسام والنحات عالم منظور. وهو بالاضافة الى ذلك عالم متشكل خلال الشكل shape والسطح surface والكتلة mass (1). بحيث لا يتم ظهوره من غير بناء للابعاد من طول وعرض وعمق. اما العالم الذي يخلقه الموسيقي فهو عالم مسموع معبر عن المشاعر الانسانية خلال فترة زمنية معينة. وهي الفترة التي تحيا فيها المعزوفة في اذن السامع. فاذا ما انتفت لحظة واحدة منها، اخل ذلك بكيان العمل الفني برمته، في حين ان عالم الفن القصصي عالم لا يعتمد على تجسيد المكان والابعاد بالوصف كما يعتمد على بعث الانسان خلال فترة معينة من الزمن سواء اطالت ام قصرت.

وعلى ذلك فاللوحة وهي السطح التصويري المنجز. تشتمل على ظهور الشيء المنظور والمتشكل خلال الابعاد. او بالاحرى انها تمثل ظهور المكان سواء اكان هذا المكان انسانا ام منظراً طبيعياً ام حيوانا ام جماداً. تمثلهم جميعاً كاجسام لها اكثر من بعدين. لان ظهورهم ببعدين فحسب مما يثلب تشكلهم في الطبيعة. اما المعزوفة الموسيقية، وهي المؤلفة المنجزة عزفاً. فانها مجموعة الاصوات المتوافقة، والمستمرة باستمرار اللحظات الزمنية التي تعزف خلالها. فاذا لم تستوف زمانها في تلك اللحظات لم يكتمل وجودها كعمل فني.

وهكذا. فالمكان هو من ماهية الفن التصويري. بينما الزمان من ماهية الفن الموسيقي. وبدون فهم ماهية كل منهما. على هذه الشاكلة لن يتسنى للرسام او الموسيقي ممارسة فنه كما يرام لانه سيتخبط من ثم ويضطرب في متاهات لا مخرج لها، فيحمل الفن الذي ينجزه تبعات لا قبل له بانجازها، لا لشيء، الا لانها ليست من ماهيته. ويضحي كمن ينسب الحرية الى الحيوان ويحاسبه من اجلها، بينما الحرية صفة انسانية بحتة. او يجرد الانسان من حريته، ولا يحاسبه من اجلها.

ومع ذلك فقد مارس الفن التصويري، في بعض العصور التاريخية كالعصر الروماني في مطلع القرن التاسع عشر. وفي بعض الاساليب الفنية كاسلوب الرسام جان ميرو ما يمارسه الفن الزمني، وتنصل بذلك من مسؤولية ضغط المكان وتشكيله الى مهمة ضغط الزمان وتمثيله. وقد حدث هذا ويحدث دائماً نتيجة اتجاه التفكير الحضاري المتطور او نفسية العصر اتجاهاً روحياً لا مادياً، كما هو حال الفترة الرومانية في مطلع القرن التاسع عشر وفترة مطلع القرن العشرين وكما يحدث احياناً عندما يعبر الرسام عن موضوعه تعبيراً غير تشكيلي لان ظروفه المحيطة المعترضة تزجه في موقف روحي لا مناص من تمثيله تمثيلا زمنياً.

فحينما يستعمل الرسام الوانه وباقي قيم اللوحة التشكيلية استعمالا



الاستاذ شاكر حسن سعيد

---

* المقال هو القسم الاول من بحث (حول المكان والوجود في التصوير المعاصر). فهو كمقدمة لمقال تال يؤلف صميم البحث.

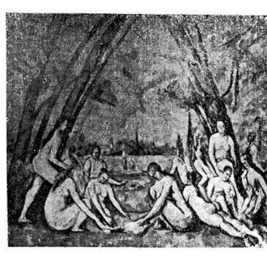
المصادر هي : The Meaning of art Herbert Read

— جان بول سارتر : البحث عن المطلق مجلة الكاتب المصري عدد (32) ص 503—505

— Picasso : محادثة مع بيكاسو. من كتاب The Painters object تأليف M. Evans

(1) The Meaning of art H. Read P.3

تجريدياً محضاً (١) . فيرسم اللوحة كعالم من الالوان والخطوط والاشكال وهي منتظمة منسجمة دون ان يدور ذلك الانتظام حول موضوع تشكيلي ، فانه يقلب الفن التصويري وتصبح اللوحة بين يديه العلامة التي تشير الى الانسجام المتحقق والحركة المستمرة فحسب ، والتي لا تجلو نفسها لتكون الحياة العميقة التي سيعيشها الناظر في معالم الفن التشكيلي المكاني.



سابحات للفنان سيزان

ترى ما الجدوى ان يصبح السطح التصويري المجال الزخرفي المحض ..؟ فيه تستعمل القيم التصويرية استعمالا مجرداً لا يستلهم الحياة ولا الطبيعة ولا يوحي بالبناء والتكوين ولا يزخر بسوى الانسجام والتساوق المعبرين عن مهارة الفنان في تنظيم رؤاه الفردية؟

وحينما يعبر الرسام كذلك تعبيراً رومانسياً «قصصياً» فيسرد ما يشاء في معالم لوحته سرداً يحدث عن الماضي ويتنبأ بالمستقبل ويكرس من ثم الوانه وخطوطه وموضوعه وباقي قيم اللوحة التي يرسمها في تحديد فترة زمنية متصورة يعيش فيها الشخص او المنظر الطبيعي حياة تصورها الفنان وسوف يتصورها الناظر حينما يعبر الرسام تعبيراً كهذا فانه يبتعد بذلك عن ماهية الفن التصويري . لان الفن المكاني اذ لا يفترض تصور الابعاد تصوراً فلا يجدي ان نقص عن الآخرين او نؤرخ لهم ، عن المكان فضلا عن ان القصة والتاريخ لا يتعديان وصف الانسان فالتعبير الرومانسي بدوره ، كالتعبير التجريدي ، لا يضغط مشكلة المكان لانه لا يصوره خلال الحاضر كشيء حقيقي عاشه الفنان ويعيشه الناظر ، بل كشيء متصور تصوره الفنان ويتصوره الناظر .

ان البناء المعماري لن ينجز دون ان يتشكل خلال الفراغ ولن ينحت النحات اما مناجسماً ثلاثي الابعاد من غير الحجر او المرمر او الخشب او الفضاء . ثمة واسطة لتحقيق العمل الفني ، وهي بدورها ذات ابعاد كالسطح التصويري . ولكن (البناية) او (المنحوتة) ثلاثية الابعاد ، لا تحتمل القصة ولا التعبير المجرد . او بالاحرى لا تحتمل التصور ، ولا الشعور بالانسجام المجرد والتساوق ؛ فهما ليسا من عالمها مطلقاً . ذلك ان زمانها ابداً من زمن الناظر . فانا اذ انظر الى بناية ما انظر اليها في حاضري ، وكذلك الحال فيما لو حدقت في تمثال . وليس هذا فحسب ، فانا لن استطيع التمييز ما بين زمنها وزمني، فهي في حاضري مهما استبعدتها ، ومهما نظرت اليها في فترات مختلفة . ان تمثال (رامي القرص) (١) هو الجسم البشري المعضل المتناسق، والمنحوت امامي بتحفزه مهما اقتربت منه او ابتعدت. فاذا اقتربت منه ظهرت تفاصيله واذا ابتعدت اختفت . ذلك لان كلينا نعيش نفس الفراغ ، نفس العالم ، فزماننا هو نفس الزمن (٢) . ولكن عالم الفن التصويري من غير عالم الفن المعماري او فن النحت . نعم . لا مفر من ان يتشكل التصوير على قماش او خشب او ورق ، ولكنه لن يتشكل ابداً خلال جسم ذي ثلاثة ابعاد كالمرمر او خلال الفراغ كما تتشكل البناية . ان واسطة الفن التصويري هو السطح ذو البعدين ، ومن هنا فان عالمه ليس من عالمي انا الناظر ولن تختفي تفاصيل الصورة او تتضح مهما ابتعدت عنها او اقتربت ، ففضاؤها من غير

(١) يجدر بنا التمييز ما بين التجريد abstraction كوضعية للبناء التصويري وكاسلوب، وكمدرسة تصويرية. فهو كوضعية للبناء على النقيض من الوضعية التمثيلية - Representational لانه يحقق المساواة بين كل اجزاء السطح التصويري دونما تمييز بين شيء بالذات وخلفية Background تسنده. اما التجريد كاسلوب فهو محاولة خلق جو مطلق زاخر بالحركة المستمرة والانطلاق كما انه ممارسة للقيم الشكلية في العمل الفني — من اللون والخط والحجم والفراغ والظل والضوء — ممارسة مجردة عن محاكاة مظهر الطبيعة. وهذا ما قصدته بالتجريد المحض في حين ان المدرسة التجريدية اليوم هي مجموعة الاساليب المعاصرة والتي تحاول صهر كل التأثيرات المدرسية لاوائل القرن : التكعيبية والحديثة والتعبيرية. مثلما تعتمد على تجارب ديلوني . ودى لا فرزناي وكاندنسكي.

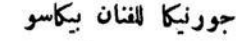
(١) للنحات ميرون يعود الى عام ٤٥٠ ق.م. ويمثل اتقان النحات اليوناني لحركة الجسم البشري في الفضاء.

(٢) جان بول سارتر : البحث عن المطلق : مجلة الكاتب المصري عدد ٢٣ صفحة ٥٤٨

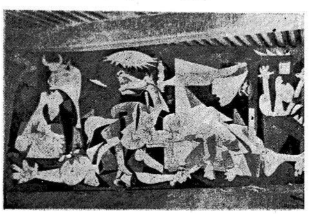
فضائي . لاني حينما ابصرها ابصر خلالها عالمي ذا الابعاد الثلاثة مرسوماً على سطح ذي بعدين . اي اني انا الجسم الذي له ثلاثة ابعاد لا يسعني ان اعيش مع السطح التصويري ذي البعدين كما كنت اعيش مع المنحوتة والبناية . وهكذا . فاللوحة ملك زمانها وليست ملكي . ان (رامي القرص) يعيش معي مهما اوغلت في ثنايا التأريخ ، وان (مأذنة الخلفاء) (١) من حاضري ولو انها بنيت منذ مئات السنين . فانا على السواء من عـــالم (رامي القرص) كما كان (ميرون) . ومعي (مأذنة الخلفاء) كما كانت مع الخليفة العباسي . ومهما تغيرت بثقافتي وافكاري او تقادم بي العمر ، فرامي القرص ومأذنة الخلفاء سيظلان في حاضري ومن عالمي . لانه لن يسعني ان انظر اليهما خلال ماض او مستقبل ، - اي ان اتذكرهما او اتخيلهما - ما داما هما ماثلين امامي (٢) .

ولكن الفن التصويري ليس كذلك . لانه يحتمل التعبير عن الماضي والمستقبل عدا الحاضر . وذلك ما دام السطح ذو البعدين وسطه وليس الجسم ذا الابعاد الثلاثة . فانا حينما انظر الى اللوحة التصويرية ، انظر اليها في حاضري وادعوهـا الى عالمي . ولكن مهما حاولت فلن اقذف بها الى عالمي الفضائي الذي احتله بجسدي : عالمي الثلاثي الابعاد . ومن هنا كان التصوير - كعمل فني - اخطر سبيلا من النحت ، والفنان اثقل عبئاً ، لان التعبير عن الماضي والمستقبل ايسر فيه من سواه ما دام عالمه من غير عالمي . اجل ! فعالم اللوحة منفصل عني ، وبامكاني ان اتصوره او اتذكره اذا كان الفنان قد اراد لي ذلك . اذ ليس ايسر من ان يعبر الرسام عن ماضيه ومستقبله فيخرج عن حاضره . ويسف دونما عمد بآثاره ، مـا دامت حالة عصره النفسية حالة زمنية جارفة . او بالاحرى حالة تتفتح فيها القيم الروحية لا القيم المـادية . وفيما اذا اقصر الرسام عن وعي المشكلة التصويرية من اساسها ولم يدرك ماهية عمله الفني (فليس اخطر من العدالة في ايدي القضاة وفرشاة الرسم في يد الفنان) (١) واللوحة هذا السطح الذي يستوعب الحياة باجملها ، ما اشد خطرها اذ تملك حق الحكم على عمل الفنان وتسجيل آثاره بكل امانة . ففي اية لوحة سيظل زمانها الذي اراده لها رسامها يطل علي من خـلال ملامحها . وهو بالطبع ليس من زماني الذي احياه الآن الا اذا انتبه الفنـان الى هذه المشكلة بالذات فحاول ان يشيد عالمه اشادة مطلقة فيتناولها ويصبح بامكاني ان اعيش الزمان الذي عبر عنه هو في حاضري .

ان (سابحات) سيزان Women Balters (٢) لسن مـن حاضري . فلا عريهن ولا زرقة السماء ولا صلابة الاشجار التي يتظللن بها لتعيش بجانبي ، في هذا الفضاء الذي يحوطني . اذ فضاءها هو ما تقترحه علي الصورة نفسها ، ومع كل ذلك فانا انظرها واعيشها ثانية دونما تصور او تذكر . ولعل هذا هو ما ناشدني اياه رسامها ، ناشدني انا الناظر ، ومن عنده بدء بنائه . فهو لم يرسم في لوحته اية فترة زمنية ساشعر بهـا واميزها ، بل رسم زماناً سرمدياً يعيش في كل لحظة . او بالاحرى انه عبر عن حاضره تعبيراً سرمدياً فقد استعـان بارائه الكلاسيكية في تشكيل الابعاد ، والتجريدية في التعبير عن الزمن ، كما يقدم في النهاية عالماً زاخراً بالابعاد واللحظـــات معاً . كما انه جعل من



جورنيكا للفنان بيكاسو



(١) واسمها المحلي الدارج « الملويه » وهي من الاثار الاسلامية للعصر العباسي الثاني بناها الخليفة المتوكل بين عامي ٧٤٩ - ٧٥٢ هي والجامع المسجد وطرازها المعماري متأثر بطراز المعابد السومرية القديمة « الزقورة » .

(٢) البحث عن النحت او العمارة كعمل فني غير البحث عنها كعمل اثري . لان المنحوتة التأريخية «النصب التذكاري» والبناية الاثرية ليست من الاعمال الفنية بالمعنى الصحيح الا اذا تذوقها الناظر بضوء قيمة عصرية فالنظر اليها « كآثار » باقية او كاعمال ماضية يجردها من الاعتبار الفني الذي لا يمكن تجليه الا في الحاضر .

(١) بيكاسو : من محادثة مع بيكاسو مدونة في كتاب: The Painter's object M. Evans

(٢) انظر اللوحة رقم ١

الفن التصويري فناً مكانياً – كالنحت – عالمه من عالمي ، وان لم يعش معي في نفس الفضاء . ما زال زمن سيزان الذي طوق به لوحته يطالعني ولكنه من الشمول بحيث يحتويني انا ويبعثني في عالمه هو ، ومن هنا فضل سيزان على عالم الفن . لان جل جهوده افلحت في رسم الابعاد بفترة زمانية ستلازمها دون ان تطلقها من عين الناظر ودون ان تلج بها عالم التصور او التذكر او التخيل كما تنتزع المتعة الذوقية .

وهكذا فالفن التصويري فن له عالمه الخاص ، ومن هنا مدخلنا اليه . اذ ان مشكلة (المكان) خلاله مقترنة بتلك الفترة الزمنية التي يثبتها الفنان بلوحته بالاضافة الى الابعاد التي يشكلها بل تكاد الوصفية او الموقف الذي يعالج به الرسام هذه الفترة الزمنية هو ما يتحكم في ظهور الابعاد على يده ظهوراً متكاملا . ومن ثم فان احكام الفنان الصلة ما بين (زمن) لوحته وما بين (ابعادها) هو الذي يحدد براعته ويلخص جهوده ، فمن خلاله تبرز مواهب الفنان في الابداع ووعيه لروح العصر ونفسيته .

لقد انتزع (سيزان) زمن لوحاته بالنسبة لطريقة عرضه لمشكلة المكان ، فمن عالم الحياة رسم الصلابة في اوراق الاشجار وجذوعها وفي عظام الجباه ولحم الساعدين والشفاه . ونظير هذا نفى وجود الوقت كفترة معينة من رسومه . ليس هناك ضوء كالذي تفنن الانطباعيون في رشقه بالمناظر الطبيعية . ولكن عالمه الصلب المتزن يسبح في هوة زمنية ليس لها قرار ولا تحدها حدود ، فهي الفجر والضحى والظهيرة والمساء ، وهي الماضي والحاضر والمستقبل ، هي كل هذه اللحظات والازمنة مجتمعة

اما بيكاسو Pablo Picasso (١) فزمانه كذلك زمان سرمدي . وليس باستطاعة كائن ما تحديد زمن جورنيكا (انظر اللوحة) فكما تطورت فكرة الابعاد لدى بيكاسو عن سيزان من كونها محاولة تبسيط ظهور الطبيعة في شكل الاسطوانة والمخروط الى كونها محاولة التعبير عن الحقيقة الداخلية برسم عدة مظاهر منظورة معاً من زوايا مختلفة ، فكذلك تطور زمن بيكاسو ما دامت الحقيقة لا تلوح لديه الا منظورة من عدة زوايا منظور ، فزمان اللوحة المرسومة بدوره زمان سرمدي . لا تقيده لحظة ولا فترة ، بل تضغطه عدد الفترات التي رسمت خلالها مظاهر الشيء ، اذ ان لكل وجهة منظور فترة زمنية معينة

ومن هنا فليس ثمة زمن « لجورنيكا » (١) . اذ هي يفلت من قبضتي كلما امعنت النظر في حقيقة الاشكال الادمية والحيوانية والنباتية المرسومة ، اضف الى ذلك ان المشاعر الانسانية المختلفة والتي تطفح بها اللوحة ، وموضوعها المقتطع من الحياة لا يعرض في حالة نفسية معينة ولا مشهداً حيوياً معيناً فليس هنا منظر طبيعي ولا صورة شخص او جمام Still life او حيوان او نبات بالذات ، بل مأساة عامة . لا يحدها زمن ولا بقعة ، لانها تتكرر عبر الضمير الانساني في شتى العصور والاقطار . فهي لا تعيش في وقت ما ولكن في كل آن . ويرى بيكاسو نفسه في هذا الصدد رأياً يشير من بعد الى السرمدية . (في الحين الذي تصنع فيه اللوحة تظل تتبدل كما تتبدل افكار شخص ما وهي حينما تنجز تظل تتبدل بالنسبة لحالة ذهن الناظر ، الصورة تعيش الحياة كالمخلوق الحي ، وتتحمل التبعات التي تفرض علينا في حياتنا من يوم الى يوم . ذلك امر طبيعي ، فالصورة تعيش فحسب خلال الانسان الذي ينظر اليها) (٢)

فهو هنا ينيط بالناظر زمان لوحاته ، يغرقها على اللوحة التي يشاهدها تبعاً لحالته النفسية المتبدلة . وذلك لان تذوق الفن التصويري عملية (نسبية) وليست (مطلقة) فبيكاسو لم يخص باللوحة فترة زمنية معينة ، ولم يرسم الا الحقيقة المحدودة بحضوره هو لقد رسم لنا هذا الفنان الحديث صورة قريبة وبعيدة ، آنية وسرمدية في نفس الوقت ، وذلك بتمثيله مجموعة مظاهر (الشيء) المنظور من عدة زوايا تبعاً للنظرية التكعيبية « وبالهيئة المشوهة » التي يقترحها ، يقترحها هو في فترة التعبير . فهي كما يشاؤها اذن تحيا خلاله بزمانه وحاضره . وهي كما اشاؤها انا ، تحيا بزماني وحاضري . وذلك حينما اتذوقها .

وهكذا . ليست مشكلة المكان بالمشكلة اليسيرة التي يقرؤها مجرد تمثيل الابعاد . ودون ان يحسب في ذلك حساب الزمن الملائم لظهور هذه الابعاد والمشكلة ايضاً هي الانعكاس المحض لعقلية ونفسية الجيل وحضور الانسان . هي المظهر الواقعي للحضارة والفنان والمجتمع والفرد على السواء .

بعقوبة – العراق — **شاكر حسن سعيد**

(١) رسام اسباني معاصر ، وهو زعيم المدرسة التكعيبية Cubism ، ومن دعائم المدارس الفنية المعاصرة .

(١) ولوحة « جورنيكا » المومأ اليها تمثل مأساة القرية الاسبانية التي تقوضت تحت اقدام الثوار عام ١٩٣٦ اثناء الحرب الاهلية .

(٢) بيكاسو : محادثة مع بيكاسو . كتاب The Painter's Object: M.Evan

اشباه ...

للآنسة ثريا ملحس

كانت الدنيا كخيط طويل
شدّني الخيط
صراخ عويل
فجأة وقفتُ
حدّقت والفراغ كليل
انهدّ رأسي يميل
جسدي يمشي
صراخ عويل
قامت الكائنات تجري
ترمي الصخور على صدري
تحقد على بأسي
على روحي وشدوي
عوت ورائي
تركض بلا دليل
صراخ عويل
كدت في الهنيهة السودا أذوب
كاد الظلام السرمدي يؤوب
وأصوات حولي تجوب
أمدّ يدي
ما كانت يدي
لا عيني عنه تنوب
صراخ عويل
كانت الدنيا كخيط طويل
شدّني الخيط
رحت بقلب عليل
راح عني حمل ثقيل
في دروبي نواح هديل
صراخ عويل

***

هبطت في الليل البهيم
يلوي الدنى سوطي القديم
سمعت نق الناقدين :
الحياة .. الحياة في الزاوية
ورحت في الليل الرجيم
مررت بالشياطين
ركضت في الساعة الجارية
اكسّر عقارب العدد الدميم
وجوه عارية
في كل ركن عديم
مشيت دون وجه رحيم
أحطم تحت أقدامي كل أنين:
أنين الامراض السارية
والعمر الطويل
ورجل كان يعوي
لمن يلد الذنب الاثيم ؟
ومجنون بقلب ذميم
ويد غادرة
. . . .
. . . .
ويهتز سوطي
يقتصّ من الدنى الكاذبة
قرعاً على كل أنين
وأشباه المجانين
دنيا كلها فارغة
وروح كظيم

خمرة الذات

لفؤاد الخشن
من اسرة الجبل الملهم

•

فنزويلا

لي عالم ملء ذاتي — أعيش فيه حياتي
فيه اعانق وحدي — اسراريَ الذائبات
مسلسلا ما تخبّي — من خمرة الذكريات
وملء ذاتي دنيا — غريبة الرعشات
ومض..وخضرةُ نور — مشعشع الهمسات
والفُ افق جميل — معطّر النسمات
فيه النجوم زهور — ترشُ بالخفقات
نفسي لنفسي مدام — من أضلع الداليات
تعبُ منها وتهذي — باجمل التمتمات
فينتشي كل عرق — للاحرف الملهمات

الافعى الحمراء

أي أفعى تنفث النار بجسمي أي أفعى
وتسيم النفس من نيرانها الحمراء لذعا
ليتني ادري لتلك القوة الهوجاء دفعا
اي افعى تتلوى في عروقي ، أي أفعى
يا دماء الشهوة الحمراء فوري في كياني
واجعليني موجة بسماءَ في بحر الحسان
انا ان ضيّعت في المتعة عمري وزماني
فكفاني انني أحيا لاشواقي كفاني
يا لهيب النشوة الومضاء ثُرْ في غور ذاتي
وبأجساد كزهر الفجر ضمّخ أمسياتي

*

نحن ان لم نترع الكأس بخمر الشهوات
فلماذا نحن نحيا أَلِنشقى في الحياة
يا دماء اللذة الهوجاء ثوري ثم ثوري
واغرقي في بحرك الهدّار حسي وشعوري
واجعليني أرشف الانوار من كأس الزهور
ظلمة الحرمان قد اودت بروحي انت نوري
اشرق الليل بأحلام الصبايا الفاتنات
فانفلتْ من قبضة القيد وعربد في الحياة
أنت ان لم تملأ الكأس بخمر الشهوات
وتعربد مثلنا فاهنأ بأكفان المات

القاهرة — عبد المنعم عواد يوسف

قصة

ذلك اليوم

تأليف كريس ماسي

ترجمة احسان عباس

يعقوب داي رجل مثقف انطوائي شديد الالتفات الى نفسه ، اتخذ منذ بضع سنوات سجلا يدوّن فيه ميزاته النفسية واحاسيسه من اجل ان يحلل اتجاهاته الفكرية ويصنفها . حقاً انه كان من وجهة عامة يهتم بالاتجاهات الفكرية عند الآخرين ولكن بحماسة اقل من حماسته لنفسه ، اذ المشكلة فيما يتعلق بالآخرين انك تبدأ دائماً بمحاكمة النتائج ، وهي ليست مما يهم يعقوب في بحوثه مثلما تهمه الاسباب والعلل ، اما فيما يتعلق بنفسه ، فقد تقول انه يضع عقله وذكاءه وضميره وروحه وطبعه « تحت رحمته » ومن ثم يستطيع ان يتحسس ويستقري ويستكشف ويقدّر ، ويخرج من كل ذلك راضياً تام الرضى .

وكان يعقوب يعيش مع امه العجوز وخادمه الوحيد في قرية تقع على نحو عشرين ميلا من لندن ، قانعاً بقلة من الاصدقاء ، زاهداً في الصلات الاجتماعية ، مقبلا في وقت فراغه على العمل في الحديقة ، ومن ثم انصرف الى تدوين الاخبار المثيرة المزخرفة عن حالاته النفسية دون ان يتعدى في ذلك حد الصدق ، ولم يعد من المهم ، في نظره ، ان يلقى احداً ، فقد كان دائم النظر الى نفسه ، وكلما ازداد استكشافاً لها ، ازداد اعراضاً عن العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الناس .

ولقد عاش وأمه ، واحدهما متعلق بالاخر في شكل هادىء قانع ، فلم تهتم امه بأمر علمه واطلاعه ، وانما قصرت همها على العناية الفائقة بالمخلوق الذي جاءت به الى هذا العالم ، وكان حقاً في حاجة الى عنايتها . وعاش الاثنان على شيء يسير من المال ، فلم تحفز يعقوب امه الى عمل او طموح ، اذ كانت تخشى الوحشة اذا هو انفصل عنها ، وخلته يتنقل بين الكتب ويتصفح وجوه المكتبات دون ان تكون لديها الا فكرة باهتة عما يجنيه من وراء ذلك التنقل والتصفح . نعم كانت تعرف انه نفساني ، وهي لفظة ذات رنين مشوب بالدعوى ، وبين حين وآخر كان يزوره قوم من ذوي المكانة بينهم عدد من الدكاترة واستاذ واحد .

وذات صباح افاق يعقوب داي مبكراً على اثر ليلة قلقة ، فقد كان استكشف في مكتبة صغيرة واقعة في الشارع السلطاني من تلك القرية القديمة المنعزلة عدداً قديماً من « المجلة الفلسفية » بين كومة من المجلات ، ووجد في تلك المجلة مقالا له عنوانه « بحث في نظرية تعدد الشخصية » . وكان قد كتب ذلك المقال في باكورة نشاطه العلمي فتاقت نفسه الى قراءة ما كتب لينعش به ذاكرته . كانت نظريته تلك تقول : ان الناس يعيشون غير حياة واحدة ، وان تلك الحيوات ليست منفصلة متمايزة فحسب ، بل كثيراً ما تكون متعارضة متناقضة . ولم يكن في النظرية نفسها شيء من الاصالة بل كان السر في طريقة العرض والاستدلال .

وشد ما استاء حين عبّث في جيوبه فلم يجد فيها ست بنسات ثمناً للمجلة ، فاحتث خطاه نحو البيت ، واحضر المبلغ المطلوب ، وعاد الى المكتبة ، ليجد الوقت قد فات ، والابواب قد اغلقت .

غير انه تأثر كثيراً لاستكشافه ذلك الاثر المطبوع من آثاره ، على مقربة من البيت ، فكتب تلك الليلة في مذكراته يقول «هزني الحادث . أثر من آثار الغرور الطفولي وجدته مطبوعاً . من المؤسف ان اشعر بالحاجة الى اقتناء ذلك الشيء السخيف الواهي لاشحذ بههمتي . لا ازال منزعج الخاطر مستشعراً الخيبة لان المجلة ليست في حيازتي » .

ولم يكن قلقه قد زايله في صباح اليوم التالي : ماذا لو أن احدهم اعني لو ان احد البلهاء ممن لا تعنيه المجلة الفلسفية في شيء انقض عليها لغير سبب ما ، او لانه وجدها رخيصة لا يساوي ثمنها قيمة الورق ؟ بل ثمة ما هو ادهى من ذلك : ماذا لو كان في القرية شخص آخر يحمل للمجلة الفلسفية بين جوانحه حباً اكيداً ومر متسكعاً بالمكتبة ، واشترى ذلك الاثر الوحيد المطبوع من آثاره حين وجده معروضاً للبيع في الشارع السلطاني ؟

ونظرت اليه امه وهو يتناول فطوره وقالت له : لا تأكل السجق بهذه السرعة فانه يورثك عسراً في الهضم .

فصعد اليها نظرة فارغة وقال : انا مستعجل .

– هذه اول مرة أجدك فيها مستعجلا فما سر ذلك يا ترى ؟

– اريد ان احصل على شيء يخصني .

– اي شيء يا يعقوب ؟

– شيء في دكان . شيء مطبوع من آثاري .

– طيب . ولكنه لن يفر هارباً .

– بل انا اخشى ان يفر ، فليس هناك الا نسخة واحدة من المجلة القديمة .

– لكن لم كل هذا الاضطراب ؟ فانك لا تريد ان تجتر مادة قديمة متعفنة كما لا استطيع انا في هذه السن ان البس التنورة التي تشبه الجرس في شكلها ، لقد كنت احسب ان افكارك مستحدثة متجددة تقدمية .

فنهض عن كرسيه فجأة ، ودفعه بعنف الى الوراء ، ونظر الى امه وعلى وجهه تعبيرات يائسة محرجة مستوحشة ، وتشنجت الجلدة المستعرضة على انفه ، وارتسم عليها خط عمودي شاحب ، كأنما خُطّ بالطباشير .

كان يعقوب طويلا ، جميلا في هدوئه ، متناسق التقاطيع ، وشفتاه ثابتتان في استواء ، وعلى جانبيها نقرتان كاللتين كانتا لبيتهوفن .

وصاح في امه صيحة قوية كأنه يناديها من غرفة اخرى وقال : امي ، لا بد ان اذهب . وتناول قبعته وعصاه وخرج الى الشارع ، ولم يسرع في مشيه كما يفعل الغاضب وإن ترك حديثه الى امه ساعة تناول الفطور قلقاً بعيد الغور في نفسه . حقاً ان ما جرى بينهما لا يستحق ان يسمى شجاراً ، ولكن يعقوب كان شديد الحساسية سريع التأثر بمثل هذه الاحداث العابرة ، مهما يكن شأنها . وحين كان يفيء الى مذكراته ، كان يشعر بوخزات الالم المخيف وهو يسجل تلك الاحداث .

واستدار في الشارع السلطاني وهو في حال سوداوية جارفة مع انه كان قريباً من المكتبة وتحقيق هدفه الذي يقلقه قد اصبح وشيكاً . وتبدى له ان ما سيقرؤه في المجلة الفلسفية القديمة سيغير فيه نظرته الى نفسه ويبدد ماله من رأي حسن فيها . واخذت تملأ نفسه مشاعر مناقضة لتلك التي احسها حين عثر على المجلة في اليوم السابق . وصمم على ان يدون هذا الشعور حال عودته في مسودات بحثه الذي يسميه « الثنائية المتناقضة » .

وبلغ المكتبة ، وكانت مفتوحة ، والعمل فيها دائب . وكاد ان يقترب من الرف الذي رأى عليه المجلة الفلسفية بين تلك الكومة من المجلات الاخرى ، حين ابصر شخصاً مستنداً الى عمود النور ، على الرصيف الممتد امام المكتبة ، كان ذلك الرجل ينظر الى غير الجهة التي اقترب منها يعقوب ويقرأ كتاباً ولم يكن ذلك الكتاب الا تلك النسخة القديمة من المجلة الفلسفية التي تحتوي من بين ما تحتويه ، على مقال يعقوب . وتبين يعقوب حين امعن النظر ان المجلة مفتوحة على مقاله ، وان ذلك الرجل كان يقرأ المقال عينه ، وانه استغرق في قراءته حتى عجز عن ان ينتزع نفسه من مكانه عند العمود وان يرجىء قراءته حتى يبلغ البيت .

وعندئذ واجهت يعقوب اعجوبة الاعاجيب ، فقد كان الرجل الآخر شبيهاً به ، يلبس بدلة من صوف رمادي داكن ، من ذلك النوع الذي يسمى Pinpoint ، تماماً كالبدلة التي كان يلبسها يعقوب ، وفي يده عصا كعصا يعقوب خشباً وشكلا ، وهي ذات محجن معقوف يلتف حول الذراع . اما تقاطيع الرجل الآخر فلم تكن تختلف عن تقاطيعه ، غير ان يعقوب حين حدق فيه ، وجده اقل منه ملاحة ، بل رآه مشرد الذهن بعض الشيء ثم نظر ، ثم قطب وجهه – لو امكن ان يرى نفسه عن كثب مستنداً الى عمود وهو يقرأ كتاباً ، فانه سيبدو كهذا الرجل تماماً ، قليل الملاحة مشرد الذهن بعض الشيء – وهذا خاطر لا بد من ان يدونه في مذكراته حال عودته .

ولم يستطع يعقوب ان يقترب من الرجل لذلك التشابه الفريد بينهما ، غير انه حين رأى المجلة في يده ، امتدت يده في ألم ضارع تريد ان تحوزها . ان ذلك المقال الذي كتبه للمجلة ، وشعر نحوه قبل قليل شعور اكتئاب حاد ، اصبح يتراءى له اغلى شيء في العالم كأنما هو ابن مفقود او حبيب قديم اوصديق من اصدقاء الصبا .

ومست يده كتف الرجل وهو يقول : سيدي ، انك تقرأ نسخة قديمة من المجلة الفلسفية ، وفي هذه المجلة مقال كتبته منذ بضع سنوات ، وانت تقرأ هذا المقال نفسه ، فهل لك ان توليني منك جميلا عظيما ؟ انا تواق لأخذ هذه المجلة ، وسأعطيك بها مبلغاً معقولا . واأسفاه ، لقد جئت لاشتريها ، ولكن بعد فوات الفرصة .

وتنحى الرجل عن العمود ، ووقف منتصب القامة ، وقد وضع الكتاب خلف ظهره ، ونظر الى محدثه نظرة صارمة ، ورأى يعقوب ان الجلدة المستعرضة على انفه قد تشنجت ، وارتسم عليها خط عمودي شاحب كأنما خط بالطباشير . وشعر يعقوب انه يمقت هذا الخط لانه علامة على الطبع الغضوب الجامح

وقال الرجل : لست اصدقك . فان كنت انت الذي كتب ذلك المقال فتلطف وقل لي : ما عنوانه ؟

فأخذت بعض النقط السود تدوّم وتتراقص امام عيني

يعقوب وبدا كأن شيئاً في رأسه يريد ان ينفجر، ثم رأى ضياء ساطعاً يتلوه شرر متساقط .

وقال الرجل : هات . قل .

فتمتم يعقوب قائلا : لست ادري ، انها نظرية شيء ما ، ذلك كل ما اذكره .

فأجابه الرجل الاخر ساخراً : نظرية شيءما !! وادارظهره وتوجه نحو مقبرة القرية فتبعه يعقوب ، اذ لم يبق له من غاية في الحياة الا حيازة تلك المجلة ، حتى اذا ادركه مشى الاثنان جنباً الى جنب بخطوات ثابتة وهما يهزان عصويهما معاً . ولم يكن من فرق بينهما الا في ان الاخر كان يحمل المجلة التي تحتوي على تلك الحكمة العميقة ، تلك النظرية النفسية المبكرة من نظريات يعقوب داي .

وفجأة قال الرجل الاخر : بل انا اخبرك انه ليس في كل هذا الهذيان الذي يدور حول «تعدد الشخصية» شيء يستحق الاهتمام

فصاح يعقوب مبتهجاً « تعدد الشخصية — تعدد الشخصية — ذلك هو العنوان، ومقالي هو « بحث في نظريه تعدد الشخصية» — فهات الكتاب .

وكانا قد بلغا مقبره القرية ، ولم يسيرا الا بضع خطوات في الممر المفروش بالحصى ، حتى استولت على الرجل حماقة جامحة، وكأنما انقلب الى مجنون محموم ، فتناول المجلة الفلسفية بين قبضتيه ، ومزقها باسنانه . ولشد ما أثار الرعب في نفس يعقوب حين أنحى عليها أكلًا ، واخذت بعض المزق منها تتطاير من جوانب فمه وتسقط على الارض ، واخذ حلقه ينتفخ ويتبعج ، وهو يبتلع تلك اللقم الكبيرة ، وبعد وقت قصير جداً لم تبق من المجلة قطعة واحدة، بل ان ذلك المجنون انحنى على ركبتيه، وتناول ما تبعثر على الارض واكله .

عقدت الدهشة لسان يعقوب ، فانه كان وحده شاهد ذلك المنظر الذي فاق كل جهد يبذله مقلدو النعام والماعز في (السرك) ولكنه شعر انه حقق بعض ما يريد ، فالمجلة الفلسفية ، وفيها مقاله ، قد « هضمت » تماماً ... « هضمت تماماً » !! تعبير طالما تردد على صفحات تلك المجلة ، وكثيراً ما قال محررها لقرائه متبجحاً « ان المجلة الفلسفية لا يمكن ان تزدرد كأنها ... سجق الفطور ، فان فرويد ليس طعاماً سائغاً، ولا يستطيع المرء ان يبتلعه كأنه قرص من الدواء ، مع ان كثيراً من الناس يظنون انهم يستطيعون » .

وقال يعقوب « لا تسرع في أكلها فان ذلك يورثك عسراً في الهضم » ، ولكن ذلك المجنون كان قد انتهى من تناول تلك الوجبة ، ونهض عن الارض .

وبدأ يعقوب يقول له « والان لقد مضغت ... » غير ان المجنون تأوه وانتفض . ومضى يخب في طريقه . وحاول يعقوب أن يتبعه لولا ان غلب عليه الضعف فلم يستطع حراكاً، وصاح في آثاره بصوت خافت « لقد اثبت نظريتي ، لقد اثبت نظريتي » .

***

كان يعقوب قد جلس على احد احجار القبور بعض الوقت، ولعله نام فترة قصيرة ، وشعر انه مغلوب بالاعياء ، وان شيئاً يعبث في رأسه ثم نهض عائداً في هدوء لئلا يستولي القلق على امه في غيابه — عاد وهو يشعر شعوراً متطامنا انه مهموم محطم. ولما بلغ العمود امام المكتبة استند اليه وخيل اليه انه مشرد الذهن بعض الشيء ، وانه ليس مليحاً في الجملة ، واستولى عليه شعور داخلي — او لعله خاطر عابر — أوهمه انه استند الى ذلك العمود يقرأ كتاباً ، منذ عهد غير بعيد . ثم تذكر ان سبباً ما قد صرفه عن تلمس المجلة في مكانها من المكتبة ، فقد كان متحفز الاعصاب مكتئب النفس لانه وامه تشاجرا في الصباح ، ولا ريب انه تجاوز المكتبة لانه كان مشرد الخاطر ، ولعله تجاوزها عامداً ، غير انه لا يذكر كيف ومتى فعل ذلك . وقادته رجلاه الى المقبرة وجلس على حجر من احجار القبور ، ولعل ذلك الانسجام الرمزي في تلك الجلسة هو الذي القى عليه السكينة فنام ، ولعله كان يعاني عسراً في الهضم لانه اكل السجق في الفطور مستعجلا .

وخلى يعقوب العمود وذهب الى رف الكتب، ونحى كومة من المجلات جانباً ، وعند ثالث مجلة من اسفل الكومة ، مد يده واستخرج المجلة الفلسفية التي تحوى مقاله « بحث في نظرية تعدد الشخصية » ففتحها ، وابتسم ابتسامة الرضى حين وقع نظره على ذلك الخط الواضح وقد كتب به ذلك العنوان الجميل الذي يذكر بعناوين القرن الثامن عشر .

وفي غيبة من ذهنه ، سار في براءة وسعادة ، دون ان يدفع ثمن ذلك الشيء النفيس .

كلية الخرطوم الجامعية — السودان
احسان عباس

المقبرة الخضراء

كانت تتكىء على شواهد القبور
تهزّ بقبضات يديها الرخام البارد .
تسلب الاموات السكون والراحة
وتنتزع من الظلماء
ثوبها الغاشي الفضفاض
تسترق السمع ،
لعلها تأخذ من روح آمنة
بعض نسمات الحياة
مسحت وجهها ،

لم تخف الهياكل الموحشة
العطشى الى الحياة
كانت تدفعها ،
كانت تركلها مستهزئة مشمئزّة
تباً لك من عظام فارغة ،
من جماجم متيبّسة جافة
من حفرّ عينيك
من فكك انيابك ومخالبك
من فغر شدقيك
لن تأخذ شيئاً ...

حطمتها بقدمها
ومضت ترقص كالبلبل
لها الحياة
ستصل الى مقبرتها الخضراء

ودفعت الباب الخشبيْ
ونهرت حارس القبور
مقبرتها كسفح الجبل
فيها الحشائش الزمردية
ونامت واغفت على الشاهدة
ورائحة الموتى تتسرب من التراب
وطلع الفجر يزحف على حفر المقابر
ويهز بقبضتيه الحجارة المنصوبة
والعظام المبعثرة ،
وعثرت قدمه
بامرأة تنام على ضمة الليل
وقف عندها ولم يتحرك
لم تزل اجنحة الفجر
مسمّرة على قدميها

جَنَيَّة حموي

نيتشه على شاطىء البحر المتوسط

بقلم اديب مروة

في الشهور الاولى من سنة ١٨٨٠ ، قدم نيتشه استقالته من جامعة بال بسويسرا ، بعد ان درس الفلسفة القديمة فيها . خلال اثنتي عشرة سنة ، وكان يعاني في ذلك الحين آلاماً غريبة لم يعرف الاطباء اسبابها . فقرر زيارة ايطاليا آملا ان يجد فيها بعض الشفاء المأمول .

وكان تلميذه وصفيه الموسيقي بيتر غاست قد اطرى امامه مرة جمال البندقية وجوها الممتع قائلا : « السماء في البندقية شديدة الصفاء ، والمياه شديدة الزرقة ، حتى ليخيل اليك ان المدينة تسبح في اللازورد ، والنور الناعم » .

وهكذا قصد نيتشه البندقية ، ولكنه ما كاد يصل اليها ، حتى لحظ ان اقامته فيها لن تكون ممكنة نظراً للفارق الكبير بين ظلالها واضوائها الساطعة التي تؤذي عينيه المريضتين ، فترك المدينة وصديقه ، وسافر الى جنوى ، حيث قرر المكوث هناك بعض الوقت في هدوء مطلق .

وبعد مضي زمن قصير تحسنت صحة الفيلسوف الكبير بفضل هواء البحر المتوسط ، واخذ يعمل ساعات طويلة ، مما لم يكن ليتاح له القيام بمثله من قبل منذ امد بعيد .

ويمكن القول ان ايطاليا اضافت الى صحة وعقل نيتشه ، تجديداً هاماً . لا بل ان سبانلي يقول : « ان ايطاليا كانت اول موح لفلسفته .. » مناظر قاسية بالنسبة للتعابير الرجولية التي تنطق بها هذه القصور الفخمة المتباينة ، تعبر هندستها عن رغبة صلفة في الحروب ، اتصف بها قدماء البحارة الجنوبيين . مناظر مسكرة يكتشفها المتنزه من اعلى التلة ، حيث تعانق عيناه المدينة والمرفأ وهذا البحر المزدحم الذي طالما التقى فيه كثير من المغامرين الجريئين ، اولهم كريستوف كولمب الذي غادره ليكتشف عالماً جديداً .

والجدير بالذكر ان غوستاف فلوبير اكتشف هو الآخر في « سالمبو » من مثل هذا المرصد قرطاجنة .

وفي خلال صيف عام ١٨٨١ ، سافر نيتشه الى اعالي الانغاليد هارباً من قيظ جنوى المحرق ، وهناك على ضفاف بحيرة سيلفابلانا ، وضع كتابه « العودة الخالدة » ، وقد كتب الى صديقه بيتر غاست : — كنت اغني .. واقوم ببعض المجون ، كنت ثملا ، وممتلئاً نشاطاً جديداً لا شك انه سيميزني من الآن فصاعداً عن غيري من الرجال .

وخلال شهر كانون الثاني (ينـاير) ١٨٨٢ ، وفي خليج رابالو ، وضع الفيلسوف مؤلفه الثاني .. حيث كان يجلس مرة فوق صخرة امام البحر ، وفجأة لمح شخصه ماثلا امامه مرتدياً مسوح الوضوح ، وهكذا مر النبي زرادشت بالقرب منه .

وانهى نيتشه خلال اسبوع واحد « هكذا تكلم زرادشت » الذي يعتبره البعض انجيلا جديداً ، كتب في حالة من الوحي القريبة من التوراة ، فيذكر دوماً بكلام الخالق .

عاد الفيلسوف من ثم الى جنوى بعد فراغه من انتاج خليج رابالو ، ولم يقم فيها طويلا هذه المرة بل تابع سفره الى مدينة نيس التي وصلها في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٢ ، وهناك فوجىء باكتشافه مناخاً بدا له انه خلق من اجله .. وما كاد يستقر به المقام في نيس قليلا حتى كتب الى شقيقته قائلا :

« تتوالى الايام هنا بجمال أصفه بانه مبتكر ، لم ار في حياتي شتاء دافئاً متقناً كهذا الشتاء البديع ، اما الوان الطبيعة في نيس فاني ويا للاسف لا استطيع نزعها لأبعث بها اليك ، فهي تبدو وكأنها مرت من خلال غربال من الفضة .. فهي ليست مادية ، بل روحانية تحلت بالحان طازجة .. وهذا ما يجعل من هذه الزاوية الارضية مكاناً فريداً من نوعه في كل اوروبا » .

واقام نيتشه في نيس مدة طويلة ، بعد ان استهواه جمالها الصارخ ، وامضى فيها خمسة شتاءات متوالية ، من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٨ . وقد سكن في البدء في البلدة القديمة التي شبهها بضاحية من ضواحي جنوى ثم استقر في فندق بنيس ، ولكنه لم يكن يستلطف ابداً نزلاءه الذين كان يصفهم بطريقة هزلية : جنرال بروسي مستند على ابنته ، زوجة امير هندي

مع ابنتها ، فاوسي فخم الملابس، عجوز من بال ، ارملة قسيس شوابي من المانيا وبعض الروس وبعض الانكليز ..

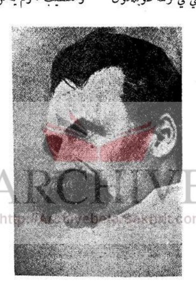
ثم يتحدث عن جيرانه بكثير من التحديد :

« لقد بدأت اشعر بأن كيلي قد طفح من هذه العصابة ، واجد نفسي حقاً مع معشر سيء ، وعلي دائماً ان احيد بانظاري عن جاري كيلا اری كيف يستخدم سكينته وشوكته ! .. اما عن نوع المحادثة فلا تسل ! »

ولحسن الحظ كانت النزهات التي يقوم بها الفيلسوف في البلدة القديمة وفي ضواحي نيس ، تشعره بانه وحيد احياناً .

ونهض نيتشه ذات يوم باكراً وراح يمشي في نزهة طويلة فوق درب صخرية تبدأ من البحر حتى تصل الى الكورنيش ، وكان ان قادته قدماه الى بلدة ايز .. وهناك اكتشف الفيلسوف هواء « الميسترال » وهو نوع من الريح يهب احياناً على جنوبي فرنسا ولم تعرف مصادره حتى الآن .. فكان ان غناه في احدى قصائده قائلا :

«هواء الميسترال .. طارد الانداء .. مكنس السماء .. قاتل الكآبة .. انت الذي يزأر ، كم اهواك .. السنا نحن الاثنين ولدنا في فراش واحد ؟ وهيأنا الخلود الكلي لمصير مشترك ؟



نيتشه بريشة اولد

وفي ٢ نيسان (ابريل) ١٨٨٨ غادر نيتشه فجاة نيس الى مدينة تورينو بايطاليا ، وبعد ان امضى هناك بضعة اشهر من الاستجمام البديع الفائق الوصف ، اصيب صاحب « ارادة القوة » بالجنون فكان يستوقف المارة قائلا :- فلنكن سعداء . انا الله .. وقد اتخذت هذا الزي التنكري ! .

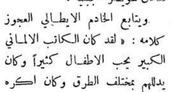
وفي ٣١ ديسمبر من العام نفسه كتب نيتشه الى تلميذه بيتر غاست هذه الاسطر : «صديقي . يا لها من لحظات . وصلتني بطاقتك ماذا فعلت ؟ آه هذا النهر الجميل «ريبيكون» . لقد نسيت عنواني ! ولكن فليكن في الكيرينال (افخم قصر اثري تاريخي في روما) .

وفي ٤ كانون الثاني (يناير) كتب نيتشه في الساعة الرابعة صباحا ما يلي : « الى استاذي الموسيقي بيتر ! غن لي نشيداً جديدا ، فان العالم تبدل وجهه ، والسماوات ممتلئة بالحبور العظيم : (الامضاء : المصلوب) .

وروى الكاتب بيير بوريل انه قابل منذ سنوات قليلة خادما ايطاليا كان في خدمة نيتشه خلال شتاءين في نيس ، وقد حدثه عن انطباعاته وذكرياته عمن كان يسميه « الاستاذ الاكبر » فيقول هذا الخادم ، واسمه لورنزو بالدي : ان اول مرة طلب اليه ان يخدم هذا الزبون بدا له غريبا وغير لطيف غير انه بدل رايه فيه سريعا اذ لحظ انه كان اكثر الزبائن قربا الى القلب ، خاصة وانه اكثرهم بساطة .

ويتابع بالدي قائلا : انني لم اره قط في حالة من العبوس والتقطيب ، ولم يكن كثير الطلبات كغيره من الزبائن ، وقد وجه لي هذا الرجل غير العادي الكلام عدة مرات ، وفي صباح احد الايام وكنت اقف مكان البواب عاد نيتشه من احد نزهاته اليومية فقال لي : لا بد ان تكون في راحة وسعادة في وظيفة كهذه ، وكم احب ان اكون مكانك لاني غالبا ما اكون قلقا غير مرتاح .

ويضيف لورنزو بالدي الى ذلك قوله : ومن هنا نشأت ولا شك الحكاية السخيفة عن نيتشة وعمله كبواب في احد فنادق سويسرا الجبلية .



ويتابع الخادم الايطالي العجوز كلامه : « لقد كان الكاتب الالماني الكبير يحب الاطفال كثيراً وكان يدللهم بمختلف الطرق وكان اكره شيء عليه المضايقات والمتعبات ، وكان لا يكلم الا عدداً من الناس ، وكان اكثر ما يسره التجول في نيس القديمة او في احراش مونت بورون ... وقد ذهب الى بلدة ايز عدة مرات وكذلك زار « كاب فيرات » حيث كان ينوي شراء دارة هناك : اما في المساء فكان يسير في «متنزه الانكليز» ثم يجلس على احد المقاعد العامة منتظراً ان يحيي الليل السماء والبحر ، بينما كان الكازينو في تلك الساعة يتلألأ بآلاف الاضواء حتى وكأنه قصر سحري .

« اما جو الفخامة ، والحياة العامة في الريفييرا ، فلم تكن تهمه كثيراً ، وكان يأكل قليلا ، ولا يشرب الا الماء ، وكانت

رجعى

✡

سأعود ..
فانتظري ايابي في بواكير الهجود
تتساءلين ..
ألا أعود ؟ تساؤل اليأس الجليد ..
والرعدة الرعناء تمشي في كيانك من جديد
أنا لا أجيب ..
وأستريب
واسأل الزمن العتيد :
أتعود يا زمني ؟
لعلك ان تعود .. الى الوفاء .. الى السجود .
عد ان حلا لك ان تعود كذكرياتك والوعود
فعساك تركض لاهثاً في موكب القدر المريد
أما أنا ..
فلقد يئست ، وكاد يطويني الصدود .
أأعود ؟!!

لا .. لا .. لن اعود ، فذلك الرجع البعيد
أأعود ؟!!
لا .. لا .. لن اعود وفي يدي هذي القيود
هيهات .. لا ناري تؤج هنا ، ولا أملي يبيد
هيهات .. لا يدني يدي من السما وهم الصعود
سأعود ..
فانتظري ايابي في بواكير الهجود
حيث النجوم تبص في اعماق هاوية الوجود
حيث السكون يُسِر في اذن الليالي ما يريد
وخطاي تقرع صفحة الاوهام في عزم حديد
وعواصف الاقدار ترمقني بجمر الوعيد
وتفزع الاحلام في حضن الظلام فلا تعود

***

سأعود فانتظري ايابي في بواكير السعود .

القاهرة — رضوان ابراهيم

الموسيقى هي كل ما يستهويه ، وفي احدى الامسيات جلس نيتشه يصغي بكليته الى احدى السيدات في الفندق وهي تعزف على البيانو مقطوعة من « كارمن » .. فانتشى بهذا العزف كثيراً حتى انه حين صعد الى غرفته لينام كان يصفر هذا اللحن الذي اعجبه كثيراً ».

وهكذا يبدو لنا ان الفيلسوف الالماني الكبير لم يتذوق متعة الطبيعة الساحرة ، الا في اواخر ايامه ، وعلى شواطيء البحر المتوسط الذي اثر على ذهنيته تأثيراً كبيراً كما تبين . ولعل اختلاف مجالي الطبيعة بين المانيا او سويسرا وبين شواطيء البحر المتوسط هو الذي جعله يشعر بهذا النوع من الانتشاء والبهجة العارمة مما ادى به اخيراً الى الجنون . ولا غرو فان الفرق كبير جداً بين تجهم الطبيعة ودكنة السماء في المانيا وبين اشراقها وصفائها وانتظامها الدائم على شواطيء البحر المتوسط .

باريس — اديب مروة

الخالدات منهن

شاعرة النهضة

بقلم السيدة سعاد ابو شقرا



لا بد للأدب العربي ان يفيق بعد سبات عميق امتد اجيالا طويلة دعوناها بحق عصور الانحطاط ، وهي في مدلولها عصور الوهن الفكري والخمول الذهني ، كبلت آفاتها الفكر العربي والقته في كهف مظلم احقاباً طويلة فنام والاغلال تشده الى سجنه وتمنع عنه رؤية النور وتنشق الهواء الصالح .

لقد كتب للادب العربي ان يصاب بحمى النوم الخطرة ، فكان ان ثقلت عليه وطأة المرض . ولم تكن ناقلة الداء اليه تلك الحشرة المعروفة بل كان السبب في ذلك المرض وتلك الغيبوبة التي ابعدته عن مسرح الحياة زمناً ، هو الاستعمار العثماني الذي سيطر على نفوس العرب اجيالا ، فغير معالمها وقتل فيها روح الانسان الواعي .

ولما كان الادب عنوان الحياة ، فان العرب لم يكونوا في الحقيقة يحيون تلك العصور لانهم لم يكن لهم ادب بالمعنى الصحيح . انهم عاشوا ازمانهم هذه يخنعون لظلم السلطان ويرددون ما قاله اجدادهم واجداد اجدادهم ، حتى اصبح الادب في مفهومهم رواية وصناعة الفاظ وامتداحاً للسلطان وتقرباً اليه . ففترت عند ذلك الهمم وضعفت العزائم وتبالد الذهن ومات الابداع .

لقد ابعد الوادي السحيق الذي يفصل ادب النهضة عن الادب العربي في عصوره الذهبية ، روابط الصلة بين ادابنا القديمة وادبنا الحديث واختفى ظل المرأة في غياهب العصور المظلمة بعد ان طربت الآذان لصوتها زمناً واصاخت الاسماع لانشادها حقباً . وبعد ان صفا بيان المرأة ورق ، رأيناه يذوي ويموت ليدفن مع مخلفات العصور القديمة فيبقى اثراً جميلا للمرأة التي عاشت في تاريخ الادب زمناً فطبعته بطابع الرقة والطلاوة والجمال .

ولما عاد الى الادب العربي شعوره بالحياة ، فنهض في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ينفض عنه غبار العصور وآثار الذل والهوان ، لمعت هنا وهناك ، في منعرجات جبال لبنان ومنبسطات الوادي في مصر بعض انوار النهضة الادبية الجديدة . فانفرجت الشفاه عن ابتسامة الامل ، وتفتحت الاعين على انوار المعارف . وعاد الى الشرايين دم جديد يجري نشيطاً فيحمل معه الى القلوب والخلايا بذور الحياة وانسامها .

وارتفع حينئذ صوت المرأة التي رافقت الرجل في يقظته واقدامه ايام العزة القعساء ، كما رافقته في تواريه وتحجره ايام الظلم العثماني . اجل ارتفع صوت المرأة في مصر فكان رائعاً حلو النبرات ، لان صاحبته وهي احدى حاملات لواء النهضة ، واقصد بها عائشة عصمت تيمور ، كانت رسول الطليعة في بعث الادب النسوي العربي الحديث .

ولدت عائشة تيمور في بيت كل من فيه يحب العلم فنشأت متعطشة الى المعارف تحدوها رغبة في التحصيل ويواكبها طموح الفتاة الذكية التي تريد ان تشق لنفسها بين الخالدين طريقاً .

ولم تكن حياة البحبوحة التي ترتع فيها الاسرة لتصرف الفتاة النبيهة عن امانيها الادبية ، كما ان نصائح والدتها وهي تنهاها عن الكتابة ونظم الاشعار ، لم تلق لدى عائشة آذاناً مصغية . فقلبها الواعي كان جياشاً بمرهف الاحاسيس ، وشاعريتها الخصبة كانت تدفعها الى القلم لتسر اليه ما تكنه طبيعتها الرقيقة .

لقد ساء اهلها ولا سيما والدتها ، ان تنصرف عائشة الى اعمال الرجال ، فلا ترى الا والكتاب في يدها وهي لا تتركه الا لتلجأ الى قلمها واوراقها في زمن كان يتحتم على المرأة فيه ان تلازم جناحها في البيت منصرفة الى اعمال الابرة ورعاية العائلة .

لكن شاعرتنا لم تكن تقدس هذه التقاليد ، بل ربما كانت ترى فيها امتهاناً لها . وهي ذات طبيعة متوقدة وقلب نير يخفق دوماً بحب العلم . غير انها لم تكن تثور على النظام القاسي الذي فرضته تقاليد « الحريم » ولا غرو في ذلك ، لان الزمن الذي نشأت فيه عائشة ، وهو النصف الثاني من القرن التاسع عشر . كان الفترة التي ما زالت تنظر الى القديم نظرة المكبر لتقاليده وعاداته والمقدس لطقوسه ونظمه . فكان ظهور المرأة بين الرجال تناقشهم الآراء ويعاون قلمها اقلامهم شيئاً مستغرباً . ولذا رأينا عائشة لا تجسر على ان تسفر عن شخصيتها كأنثى تتكلم وتنشد الاشعار ، بل راحت تنتحل لنفسها شخصية الرجل .

قد تكون فعلت ذلك محاكاة للرجال ، لان الرجل في نظر المرأة كان السيد المطاع . وهو رمز الكمال والقوة . فاقتداؤها به ضمانة لنجاحها وانسياقها الى تقليده كان يكمن في لاوعيها ؛ وقد يكون السبب ما ذكرنا اولا ، وهو عدم جسارة الشاعرة يومئذ احتراماً منها لقواعد السلوك ولمكانة المرأة في الحريم

لقد تأثرت الشاعرة بجو البيت الكبير كما قلنا ، وساعدتها المكتبة الضخمة التي يملكها شقيقها احمد باشا تيمور ، على اغناء تحصيلها واطفاء جذوة عطشها الدائم الى الاطلاع . اما عناية والدها بها فقد ظهرت جلياً حين استقدم لها المعلمات المشهورات في ذلك العصر لتلقينها اصول النحو والعروض فبرعت فيهما وظهر نبوغها مبكراً فما كان من الوالد الا ان لبى رغبتها واستقدم لها « خليل رجائي » ، مكملاً بذلك ثقافتها . فدرسها استاذها الصرف واللغة الفارسية . وراحت تأخذ القرآن الكريم واللغة والفقه على مشاهير المدرسين وتقبل على مطالعة دواوين الشعراء بنهم وجلد .

وهكذا فقد انبعث شاعرية عائشة ، وفاض قلبها الرقيق اشعاراً جزلة واناشيد حلوة جميلة . وراحت الشاعرة تنظم في مختلف الالوان الشعرية التي عرفها الادب يومذاك . ولم تخرج الشاعرة على مألوف المعاني والاغراض الشعرية ، فقلدت من سبقها من الشعراء ، ورددت مع معاصريها المعاني التي ذكرها شعراء العرب مراراً ، لكنها البستهـا اثواباً جديدة وحللا قشيبة فجاء شعرها عذباً رائقاً يشهد لها بالتملك من ناحية اللغة ولشاعريتها بالغزارة والعذوبة .

تزوجت عائشة ولم تعرف السعادة بمعناها الصحيح الواسع في حياتها الزوجية ، لانها كما ذكرنا آنفاً ، كانت راضية عن حياة الحريم التي لا تعرف نشاطاً . ورزقت اولاداً لكن الاولاد كانوا مجلبة لعذابها لانها شهدتهم يموتون صبياناً وبنات ، فذاقت اشد انواع العذاب الذي تشقى به امرأة ، واي شيء اشد على نفس الام من الثكل المرير ؟

تركت الشاعرة لمعاصريها انتاجاً خصباً في لغات ثلاث : العربية والفارسية والتركية . واتقانها لهذه اللغات في زمن كان يضن فيه على المرأة باليسير من المعرفة يعد فتحاً كبيراً في الثقافة النسوية .

نظمت عائشة الشعر في موضوعات كثيرة لكنها كما قلنا قبلا ، لم تدخل على الادب نوعاً جديداً في التفكير ولن تحمل مسؤولية ذلك وحدها ، لان الادباء من الرجال كانوا اكثر منها تقيداً بالقديم .

كانت تشعر ان هنالك اسباباً تبعدها عن لداتها ومعاصراتها الجاهلات ، فتتألم لذلك وترثي لحال المرأة المصرية . وتتطلع فترى التقاليد تنصب الحواجز في كل مكان ، فيحز في نفسها ان تكون اسيرة لها وتلتمس لقلبها السلوى في معاشرة قريباتها وبنات قومها فتبوء بالفشل لان الانسجام بينها وبين من تعاشرهم مفقود كانت تتألم حقاً وترسل الزفرات معبرة عن ذلك الالم لم تكن تستطيع ان تذوب في المحيط الذي تعيش فيه فتحاول جاهدة ان تجد مخرجاً فتقول :

عقدت عزمي وهم حلوا عزائمهم ... وفي العزائم محلول ومعقود
ما طابقوا حين لم يبدوا مجانسة ... ولا تشابه معدوم وموجود
ابدي ائتلافاً ويبدون الخلاف وقد ... غدا لهم في جيوش الهجر تجريد
وكم اقابلهم مستنجزا ، ولهم ... لسوء حظي في الاعراض ترديد
لو للسعادة عين في مساعدتي ... ما كان لي ساعد بالطوق مشدود

كان طبيعياً ان تشقى شاعرة واسعة الثقافة ، واعية القلب في وسط ينظر اليها نظرة شزراء . لانها تحمل القلم وتقول ما يقوله الرجال . وكان طبيعياً كذلك ان تترك شاعرتنا قومها يتخبطون في جهلهم بعد محاولات عديدة كانت تتقرب بها اليهم فتعود منطوية على نفسها فاشلة في مسعاها وتنفرد بقلمها تبثه لاعج الحسرات ومر الشكوى .

لقد تحسرت الشاعرة كثيراً ونشدت العزاء في وحدتهـا المعنوية ، فاتخذت لها من الكتب اعز الاصدقاء وراحت تشكو الحجاب الذي كانت تفاخر به قبلا ، لانه حرمها مجالسة العلماء واهل الفضل فلم تصل اليها احاديثهم المجدية ولم ترو نفسهـــا مناقشاتهم الماتعة .

اما اغراض شعرها فقد انحصرت في النواحي التي انحصر فيها كل شعر قديم . ولئن كانت عائشة شاعرة كبيرة من شعراء النهضة ، فلانها رسمت بشاعريتها عن غير قصد منهـا ، صورة الحياة النسوية في اواخر القرن التاسع عشر ، ولانهـا عبرت بصراحة وطلاقة عن اماني المرأة الواعية المحتجزة في جناح مظلم من كل بيت ، كانوا يسمونه « الحريم » .

ان وضع المرأة الاجتماعي في ذلك العصر اثر كل التأثير في انتاج الشاعرة ، لقد كانت عائشة قابعة في ركن بيتها مع غيرها من النساء لا تصل الى عينيها مظاهر النشاط الاجتماعي ، ولا يتاح لها ان تساهم في بناء مجتمع تكون المرأة دعامته الاولى . فحرمت النور والهواء ، وقضي على استعدادها النضالي بالاستسلام

للهدوء والركون ، فجاءت اشعارها الاخلاقية والدينية مليئة بالنصائح تحث الناس على التمسك باهداب الفضيلة واحترام قواعد الدين فتقول :

ما الحظ الا امتلاك المرء عفته   وما السعادة الا حسن اخلاق

ثم تذهب في ذلك مظهرة احترامها للفضيلة معتزة بابتعادها عن كل ما فيه حط من طهارة المرأة . كانت ترى ان الحجاب اكبر ضمانة لصيانة العفة واخلص منقذ للمرأة من الوقوع في شرك المعايب ولذا كانت تقول :

وما احتجابي عن عيب اتيت به   وانما الصون من شأني وغاياتي

لا مجال هنا لمناقشة اقوال الشاعرة لانها كانت تساير نظم عصرها مقتنعة بان الحجاب دليل الصون والعفة. لقد اوهن الزمن حجتها وفرغ من اعطاء حكمه على الحجاب الذي ذهب الى غير رجعة ، وشهدت دنيا العرب وثبة اجتماعية جريئة قامت على يد المراة المثقفة التي مزقت هذا النقاب الذي حرمها النور عصوراً طويلة. ولو اتيح لعائشة عصمت تيمور ان تعيش في ايامنا هذه، لما استنكرت شعور المرأة بل لكانت اولى الناهضات اللواتي يجندن شاعريتهن الخصبة لخدمة المجتمع الافضل .

اما غزل شاعرة النهضة فسيظل يحتل اجمل الصفحات من ديوانها . وهو وان يكن كما تقول الشاعرة قد نظم « في غير انسان والقصد تمرين اللسان » فانه غزل رقيق جميل يصور الى ابعد الحدود نفساً متأرقة تارة متألمة اخرى . ولا اقتنع بقول الشاعرة تنكر صدق عاطفتها وان كانت عائشة ممن عرفن بتمسكهن الشديد بطهارة النفس واصول الفضيلة وباحترامهن آداب الدين وفروضه . وكيف نقتنع ان يكون غزل عائشة قد نظم دون ان يكون هنالك في قلب الشاعرة دافع ملح الى نظمه ؟ ولو كان كما قالت الشاعرة « لتمرين اللسان » فقط لما اتى غزل عائشة بفصيحه وموشحاته وبالمواليا الرقيقة التي كانت منتشرة في ذلك العصر ، جميلا رقيقاً الى الحد الذي رق فيه غزل شاعرتنا المجيدة .

ان غزل عائشة رضي لنفسه ان يسير على الاصول المتعارفة والمعاني الواردة في اقوال القدماء من شعرائنا ، لكنه ارتدى طابع الرقة المستحدثة وان كان قد حكى غزل الرجال لان عائشة كما قلنا كانت تقلد الشعراء القدامى والمعاصرين ولا تجرؤ ان تتغزل بالحبيب سافرة عن شخصيتها .

ومهما تقادمت العصور ، فستبقى الاناشيد الحلوة التي نظمتها عائشة عصمت تيمور ، متنقلة على السنة الصبايا والمغردين لانها رقيقة تصف خلجات النفس الولهى وخفقات الفؤاد الحزين .

ان الشوق الذي يظهر مستعراً في مربعات عائشة ومخمساتها لا يمكن ان يصدر عن قلب سال لا اثر لظل الحبيب فيه بل ان من الابيات ما ينطق بالحسرة تملأ شعاب النفس وحنايا القلب الواجف ، وهي كثيرة في اشعار عائشة تصور قلباً احرقه سعير العاطفة وهاجه ذكر الحبيب وحسبنا ان نسمع الشاعرة في بعض مخمساتها لنتأكد صحة ذلك .

يا ظبي في قلبي عليك حرارة   تطفي لظاها ان سمحت زيارة
حلو الرضاب افي الوصال مرارة   ام في التفاتك للشجي خسارة
وجميع ربحي في الهوى انفقته

وفي ديوان الشاعرة الوان كثيرة من الغزل الرقيق الذي يصف جمال الحبيب ويتعطش لرؤيته ! ! وعلام لا يكون غزل شاعرتنا صادقاً وان ارادت هي ان توهمنا بانه انما نظم لتمرين اللسان

ان الخجل منع الشاعرة من التصريح بصدق هواها لان نوع الحياة التي عاشتها فرض عليها الاحتشام. والمصارحة في زمن عائشة كانت تنقلب وبالا على المراة لو انها تجرأت فكشفت عنها . ولهذا اضطرت الشاعرة الى نكران صادق حبها وحاولت ان تقنعنا بذلك حين قالت : تغزلت لتمرين اللسان ، ومن يسمع ابياتها الآتية لا يشك في ان رقة شعور الشاعرة ، كانت مجلبة لعذابها . وهل تسجن الاماني اذا عاشت في جسد مسجون :

تقول عائشة متحرقة :

اشكو الغرام ويشتكي   جفن تعذب بالسهر

يا قلب حسبك ما جرى	احرقت جسمي بالشرر
دام الحبيب لك الضنى	لم ذا وانت له مقر ؟
لكن تعذيب الهوى	ما للشجي منه مفر .

وكثيرة جداً الابيات الغزلية الرقيقة في ديوان عائشة ورقيقة جداً الازجال المصرية التي نظمتها الشاعرة في الحبيب . لكننا نكتفي بهذا المقدار من غزلها لننتقل الى مرحلة مرة من مراحل حياتها ، تلك المرحلة التي طبعت ادب الشاعرة باللون الباكي القاتم وقرحت اجفانها فسببت لعينيها آلاماً مضنية عذبتها ليالي طويلة وسنوات سبعاً .

قيل قديماً : «ان اجمل الاشعار ما كان ترجماناً لقلب معذب» وقداتى الانتاج الادبي الضخم لشعراء الشرق والغرب مصداق ذلك وشاعرتنا التي تألمت كثيراً قد انتجت اشعاراً طويلة ناطقة بالشكوى تفيض آلاماً وحسرات .

لم تسعد عائشة تيمور في حياتها الزوجية لان هذه الحياة جرّت عليها آلاماً مبرحة ، وارتها كيف تكون آلام الثكل مميتة مضنية . لقد فقدت الشاعرة ابنتها الشابة «توحيدة» وهي في الثامنة عشرة من عمرها . وكانت الصدمة شديدة على القلب الرقيق ، فجعلته كسيراً محطم الآمال وقبعت الشاعرة في بيتها تبكي فلذة كبدها بدموع حرى ، وتذوب حزناً واسى وهي ترى العروس الجميلة تزف الى قبرها .

حقاً ان الحياة مليئة بالمآسي والمحن ، لكنها تجور احياناً على القلوب الرقيقة العليلة ، فتكيل لها الآلام بلا هوادة . ولقد كان نصيب شاعرتنا من غضب الحياة كبيراً ، فأنزل الدهر القاسي على نفسها المعذبة الواناً شديدة من الشقاء واراها كيف تذوي الغصون الطرية وهي في اجمل ساعاتها وانضر الوانها .

كانت كلما هدأت حسراتها قليلا او جف معين دموعها ، ثارت في مخيلتهـــا صورة العروس الشابة توارى تحت التراب فتفجرت من عينيها الذابلتين شآبيب الدموع حارة وراحت تنشد بفؤاد ملتاع ارقه السهاد الطويل ابياتها الباكية الطويلة :

ان سال من غرب العيون بحور	فالدهر باغ والزمان غدور
فلكل عين حق مدرار الدما	ولكل قلب لوعة وثبور
ستر السنا وتحجبت شمس الضحى	وتغيبت بعد الشروق بدور
ومضى الذي اهوى وجرعني الاسى	وغدت بقلبي جذوة وسعير
يا ليته لما نوى عهد النوى	وافى العيون من الظلام نذير

وزهدت الشاعرة بعد موت ابنتها في الحياة وانصرفت عن نظم الاشعار وجمعها في دواوين الى البكاء والنحيب ، فكان ان اصيبت بالرمد الذي افقدها البصر زمناً ونصحها الاهل والاقرباء بعد ذلك وطلبوا اليها مراراً ان ترثي لنفسها المعذبة فتكف عن البكاء ليعود اليها بصرها .

وشفيت بعد علاج طويل اقتضى سبع سنوات وعادت الى اشعارها وحسراتها . فراحت تجمع ما قالته في ديوان اسمته «حلية الطراز» ثم الفت بعد ذلك كتاباً اسمته نتائج الاحوال وقد طبع ونشر .

كانت عائشة شاعرة وناثرة في آن واحد .. ولقد دعت الى تنظيم الاسرة وتربية النساء ودعم الفضيلة فكانت مصلحة في زمن خنق فيه صوت المرأة يوم كانت هذه متوارية وراء السجف الكثيفة ، ولم تكن اشعارها في غرض واحد من الاغراض الشعرية ، بل لقد نظمت في الغزل الرقيق وفي التوسل والرثاء والاستغاثة . وكانت قصائدها الاجتماعية داعيـــة الى احترام الاخلاق الفاضلة وتوطيد دعائم الدين فغدت بذلك سيدة مجتمع وقور تحرص على صيانة العفة وتسيير بنات جنسها الى مـا فيه خيرهن وصلاحهن .

ولئن تكن عائشة قد حاكت في شعرها من تقدمهـا من الشعراء فلم تضف الى الادب العربي لوناً جديداً ، فانها ولا شك معذورة في ذلك لان الفترة التي عاشت فيها عائشة لم تكن بعد الفترة الانتقالية الحق ،بل كانت الطريق الذي مهد لتلك الفترة .

لقد ارتفع صوت عائشة عصمت تيمور في ليال مظلمة من تاريخ المرأة العربية ، مثبتاً ان المرأة لم تمت في ظلال السجف وخلف الجدران بل انها عاشت صابرة الى ان تتهيأ الظروف لخروجها من هذا السجن المر فتحطم بيديها الناعمتين مـا بنته عصور الانحطاط في طريقها من حواجز .

لقد ماتت الشاعرة عام ١٩٠٣ بعد ان تركت لمعاصريها ديواناً كبيراً ونثراً فصيحاً ، وبعد ان ادخلت الى قلوب بنات جنسها الرغبة في الخروج الى الهواء الطلق ، الى ميدان العمل المجدي والنضال الاجتماعي المقدس فكان لهـا ان حركت في اعماق القلوب النسوية تيار الحياة الآسن وايقظت من سبات عميق نفوساً قتل حيويتها الجهـــل والاستسلام وحق لعائشة التيمورية ان تدعى بحق شاعرة النهضة فهي باعثة الادب النسوي ورسول الطليعة في خلق النهضة النسوية العربية الحديثة .

سعاد ابو شقرا

في حرم المجرمين

بقلم رشاد دارغوث

انتشر في المدينة خبر، ضخمته الالسنة الخبيثة الثرثارة، قبل ان تصل الى الصحف فتعلنه باكبر الحروف.

لقد تناقل الناس في ابان الحرب العالمية الثانية ان عصابة من اللصوص الدوليين ... تشن هجوماً على السيارات والبيوت فتجرد الاولى مما يمكن تجريدها منه، وتحطم ابواب البيوت لتسرق ما في خزائنها. وان ادارة الشرطة قد عجزت بوسائلها البدائية، ورجالها المجندين على عجل، عن اكتشاف الفاعلين. كما ان حراس الليل، الذين يسهرون على اشياء الناس، وهم نيام، قد اغمضوا عيونهم، بعد ان صارت هذه المصلحة المفيدة تكية من تكايا الدولة. فذعر اصحاب السيارات الكثيرة التي تضيق عنها شوارع المدينة، واضطرب ارباب البيوت التي لم تتوفر لها وسائل السلامة والسلاح الحربي. وسارعوا الى التأمين عليها لدى الشركات، او الى استئجار المرائب – (الكاراجات)، او شراء الاسلحة الاوتوماتيكية ثم امتلأت اعمدة بعض الصحف باخبار اولئك المجرمين، مزوقة بالاحمر والاخضر، وباسلوب لا يخلو من الطرافة. لانه يعتمد على الغرابة والابهام. وهي صحف تستمد من سذاجة القراء وتصديقهم كل ما يكتب اهم مبررات وجودها.

واللصوصية، على مختلف اشكالها، ليست غريبة في هذا الشرق. ومع ذلك فان حوادثها تجد لها دائماً رجعاً يهز النفوس.

فلا تدري أذلك بباعث من ثورة الفطرة السليمة، التي افسدتها التربية واجهزة الحكم، ام بباعث الادراك ان السرقة هي من اخطر الاوبئة الفتاكة بالمجتمع. ولقد عالجها القدماء بالقطع والبتر، ايماناً منهم بجدوى هذا الدواء الشافي، ولكنها لم تعالج حتى اليوم بالدواء الواقي – على الرغم من وفرة القوانين، واتساع آفاق المعرفة، وكثرة الشهادات وطوفان الالقاب!

وكان سليم سالم احدى ضحايا هؤلاء اللصوص. فقد شنوا على سيارته اعنف هجوم، فجردوها في الليل من كل شيء، ثم تركوها، هيكلاً من حديد. فلم يصدق صاحبنا عينيه، وهو الرجل المعروف بانه انسان يتطوع لخدمة الآخرين، بما جبل عليه من نفس خيرة، وقلب طيب. وهو صحفي منتج، يعيش بشرف من محصول قلمه وارباح مؤلفاته، ويقرأه الناس بلذة واعجاب. ويقول سليم سالم للاشخاص الذين تجمعوا حول سيارته، يشاهدون في الصباح الباكر آثار الجريمة:

– «انا اخشى ان يكون بعض المجرمين قد استعملوا سيارتي في التجول... لاقتراف جناية، مثلا، او لتهريب شيء ممنوع على الاقل، على الرغم من صغرها!!»

ثم يضحك الصحفي ضحكته الساذجة، فيبتسم احد الحضور، كأنه على بينة مما كان، ويقول:

– «تطلع جيداً يا استاذ! أليست سيارتك مسروقة!»

ويقبل الصحفي على سيارته، يتفحصها بعين تعودت نقد الكلام، وتمييز المعاني لا اجزاء الآلات وقطع السيارات، فيسمع بعض الحضور من المتلطفين يقول:



– «امس... سرقت سيارة في الشارع المجاور! وقد قبض صاحبها على لصين وهرب الثالث. اما الشرطة فلم تحس بشيء! فهل انت معتمد يا استاذ على ابلاغ الشرطة ما حدث لك؟»

ويقول ثالث : — « في البلد سرقات كثيرة ! وقد اردت ان انبهك يا سيد سالم ، ولكن ... سبقني اللصوص ! »

ويقول رابع يحاول ان يخفف من وقع الحادث : — « بالطبع سيارتك مؤمن عليها ، اليس كذلك يا استاذ سالم ؟ »

وتبدر من سليم سالم اشارة تنم عن نفاد الصبر ، كما تدل على « شيء » آخر ، لم يكن قد تبلور في ذهنه ، ويجيب :

— « سواء كانت مؤمناً عليها او غير مؤمن ... فالسرقة تبقى سرقة ! ولا يخفف من المسؤولية تعويض مادي ... من اية جهة جاء ! ولا بد لي من اعلام الشرطة بالامر على كل حال ! »

ويحدج سليم سالم الرجل الاخير بعينين متفحصتين ، فيقع بصره على وجه لا يوحي بالثقة . فلا يدري سر ذلك ، على الرغم من ان هذا الوجه غير قبيح ، وان طـــال جبينه ، واصفرت عيناه ، وتضخم انفه ، واتسع فمه ، وكبرت اذناه ، وامحت معالم الحياء من قسماته :

ويذكر الصحفي ، في تلك اللحظة ، ما كان قد باح به له صديقه رامز الارناؤوطي اذ قال له وهو يقنعه بتأمين سيارته لدى الشركة التي يعاملها هو :

— « وكيل شركة التأمين هذه .. يتواطأ معي .. فيدفع في آخر السنة ، مبلغاً من المال .. فاطلح به السيارة .. كأن حادثاً وقع لها ! اما وكيل شركتك .. فرجل جدي .. لا يمكن ان يساوم او ان « يمشّي » الحال ! »

ويقارن سليم سالم بين منطق ذلك الوكيل ، ومفهوم هذا الرجل ، وذلك الصديق ، لفكرة التامين واغراضه ، فـــلا يأخذه العجب . بل يضحك الاستاذ سالم من هؤلاء النـــاس ، الذين يستحلون افساد كل شيء في سبيل الوصول الى اغراضهم ، وتحقيق شهواتهم . وتلتقي ، في ذهن الصحفي ، جريمة السرقة وجريمة الغش ، فوق صعيد واحد ، فرعين لاصل ، ومظهرين لحقيقة واحدة .

***

كان لا بد من اشعار الشرطة بما حدث . فقضى الاستاذ سليم سالم اكثر من نصف ساعة ، واقفاً الى التليفون ، ينادي المخفر المجاور ، فلا يستجيب احد لندائه . فالمفوض لم يحضر ، ونائبه غادر المكتب ، والشرطيون موزعون بين منـــازلهم والشوارع المجاورة ، وهم قلة ، والمخالفون كثرة ، والبلد يعج بمخالفي القانون وبالاغراب والمشردين . وشر ما في الامر هذا التليفون الذي يرهق اعصاب الناس . فاذا استجاب لطلباتهم ، لم يفسح لهم مجال التحدث ، دون تشويش . واذا لم يستجب تركهم مشدودين باذانهم الى آلة صماء لا ترحم . لذلك قرر الصحفي ان يذهب بنفسه ، مشياً على الاقـــدام ، الى مخفر الشرطة .. حيث التقى المتؤولين بالذات . وكانوا رجـــالا لطفاء بقدر ما هم منصرفون الى الاشتغال بالسياسة ، وبامر رواتبهم الضئيلة ، كرواتب سائر الموظفين . وكان على الصحفي ان يقضي نحواً من تسعين دقيقة ، كي ينتهي من وضع التقرير اللازم ، ويأخذ وعداً باحالة ذلك التقرير الى المرجع المختص ..

ثم يعود الاستاذ سالم ، وبصحبته احد الشرطيين ، لمعاينة السيارة المسروقة ، كما تعاين السلطات القتيل بعد فرار القاتل ، فيخيل اليه وهو في الطريق ، يتباطأ في مشيته ، حتى يلحق به رجل الامن البدين ، انه انتقل الى احد البلاد الراقية ، حيث يودع الناس ثمن الحليب والخبز اليوميين على عتبات البيوت فيمر البائع قبل الضوء ويتناول « حقه » من تلك الاموال ، وحيث قوات الشرطة ، مجهزة باحـــدث المعدات ووسائط المواصلات ، والمخابرات . واذا بها تجرد حملة على اللصوص .. في اللحظة التي يتصل الخبر بعلمها . فتهدر السيارات ، وتئز الطيارات ، وتتناقل امواج الاثير التعليمات والمعلومات . فما تمضي .. ايام بل ساعات ، حتى يكون الجناة ، في قبضة العدالة

وينتبه سليم سالم من حلمه على كلمات يرددها الشرطي ، وهو يشكو بحرقة وألم ، فيقول :

— « اننا كما ترى .. لا سيارة ، ولا واسطة اخرى تنقلنا . ومخفرنا يشرف على منطقة تعادل مساحتهـــا ثلث المدينة . فكيف نستطيع . ونحن ثمانية شرطيين ، ان نؤدي واجبنـــا واجورنا كما تعلم ، والغلاء مستحكم ؟ »

***

دارت شكوى الاستاذ سليم سالم دورتها التقليدية ، عـلى مختلف الادارات والمصالح ، ثم عادت بعد شهر من الزمن الى مخفر المنطقة ! وقد تقرر حفظ الدعوى المساقة ضد مجهول ، لان الشرطة لم تعثر على ذلك المجهول .

وقد خطر للاستاذ سالم ان يقاضي مصالح البلدية المدعوة للسهر على اموال المكلفين ، او ان يحسم المبلغ الذي خسره من مجموع ضريبة الدخل التي يؤديها عن راتبه وارباحـــه من مؤلفاته بطيبة خاطر ، او ان يعلن ذلك في الصحف التي يكتب فيها على الاقل . ولكنه آثر الصبر والصمت ، وان يسعى

بوسائله الخاصة الى اكتشاف اولئك اللصوص غير الشرفاء ، ثم يسلمهم بيده الى القضاء .

ولكن كيف السبيل الى دخول « حرم المجرمين ؟ »

هذا هو السؤال الذي شغل بال سليم سالم مدة طويلة من الزمن ولكنه ، كغيره من المشكلات ، مهما كانت مستعصية الحل ، لا بد ان يجد لها المرء جواباً ، اذا ترك لعقله الباطن فرصة كافية للتفكير ، وفرصة اخرى لاستنباط الوسائل العملية .

وكان صباح ، فاذا الغيوم تتلبد في سماء منزل الصحفي كما تلبدت الغيوم الاخرى في الفضاء . فالاقساط المدرسية الباهظة المتوجبة عليه ، واجرة المنزل التي تقصم الظهر ، وغلاء المعيشة المتصاعد . والخسارة الاخيرة بسرقة ادوات السيارة ، جميع ذلك ضعضع موازنة الصحفي فتضعضع نظام حياته . واضطربت اعصابه . وما كان بامكانه ان يستعيد الصفاء والهدوء ، بجرعة من البيكربونات كما كان يفعل « كارليل » الفيلسوف ، كلما تجهم في عينيه وجه الحياة . فالمال لا يستبدل بشيء ، حتى بالعلاجات الشافية ، ولا يقوم مقامه شيء من المسكنات ، ولو كان مواعيد رجال السياسة .

حينئذ خطر لسليم سالم خاطر ، سارع الى تنفيذه ، فغاب عن « المدينة » اربعاً وعشرين ساعة ، لم يدر احد اين قضاها ، ولا كيف قضاها .

وقد شاهد اهل الحي ، في تلك الليلة ، رجلا رث الثياب ، قذر الاطراف يمر حوالي منتصف الساعة العاشرة . فلا يلتفت الى احد ، ولا ينظر الى نافذة ، بل يتابع سيره باتجاه منزل سليم سالم في نهاية الشارع ، كأنه صنم يتحرك .

وما هي الا دقائق حتى اقبلت سيارة مطفأة الانوار ، تسير على عجلاتها دون محرك . ثم يترجل منها رجلان ، احدهما ملثم كما يفعل البدو ، والآخر يخفي وجهه بعراقية كأنها قلنسوة الجندي ولكن ذلك التخفي المحكم لم يحل دون بروز انف الملثم بالكوفية . ولمعان صلعة الثاني الذي اعتمر القلنسوة .

وكان على الرجل صاحب الثياب الرثة ان يختبىء وراء مصنع الجلود المجاور ، برغم شدة الروائح الكريهة ، المنبعثة منه . فما مضت لحظات ، حتى باشر الرجلان الملثمان عملهما ... في تفكيك الباب الحديدي للعمارة التي تجاوز منزل سليم سالم . وبسرعة خاطفة انتقلت الاجزاء الحديدية المفككة الى سيارتها الواقفة قريباً ... وكان ثالث اللصوص جالساً وراء مقودها يتلهى باصلاحها .. فيوهم من قد يراه ويخادعه عن حقيقة ما يفعله هو ورفيقاه .

في هذه اللحظة بالذات برز الرجل الرث الثياب من مخبأه ، ومشى كأنه صنم يتحرك ، دون ان يلتفت نحو السيارة او يعير اللصوص اقل اهتمام . كما شعر هو نفسه ، بالحاسة السادسة ، ان اللصوص الثلاثة لم يعيروه ادنى انتباه ... بل تابعوا تنفيذ جريمتهم كأنهم في حدود الحق والقانون .

فكان ذلك درساً جديداً .. تلقاه الرجل الرث الثياب .. فسارع الى الاستفادة منه ، على صورة لم يألفها متتبعو المجرمين الذين لم يطلعوا على خفايا النفوس الخبيثة ، واسرار القلوب التي افسدتها الحياة الملتوية .

وصل الرجل الرث الثياب الى ساحة المدينة القريبة من مركز الشرطة العام ، وكانت على غير عادتها تموج بالناس ، في تلك الساعة المتأخرة من الليل ، فقد كان سكان المدينة يستعدون للعيد الاكبر ، فيهيئون طعام الغد وحلوى العيد . ويكثرون من ذلك وهذه كثرة يصابون معها بشتى الامراض ، ثم يعزون ما انتابهم الى « النصيب » او الى تقلبات الطقس . فاتخذ الرجل الرث الثياب موقفه بجوار بائع تزدحم دكانه بانواع الاطعمة المحفوظة فضلا عن المأكولات الطازجة الخفيفة . ولم تمض الا لحظات ، انشغل في اثنائها البائع الضخم الجثة ، القصير القامة والصغير الرأس ، ببعض الزبائن ، حتى مد الرجل الرث الثياب يده .. الى صندوقة البائع ، وتناول منها عشرة قروش .. من ورق النقد المتراكم فيها بالمئات .

وعلى الرغم من ان احداً لم يعرف ان الرجل الرث الثياب كان هو الصحفي بالذات ، فان اول عمل قام به صاحبنا ، في اليوم التالي هو المرور بدكان البائع الذي سرق منه امس بعض

ماله . لقد ذهب سليم سالم الى المكان الذي اقترف فيه جريمته، مسوقاً بقوة لم يستطع ردها . وما راعه ، في الوقت نفسه ، الا مشاهدة اللصوص الثلاثة .. الذين فككوا في الليلة البارحة باب جيرانه الحديدي .. واقفين منذ الصباح الباكر امام ذلك الباب وقد اخذوا يبدون اسفهم لوقوع هذا الحادث الغريب ، كما فعلوا في صبيحة الليلة التي سرقت فيها السيارة !! ويلتفت احدهم الى الصحفي ليقول له مداعباً :

ــ الم تقبض على السارق يا بك بعد ؟

فيقول الاستاذ سالم ببساطة ووثوق : ــ سأقبض عليه عما قريب !

ثم يتابع سيره، وقد احس انه وضع قدمه في صميم حرم المجرمين

***

في الايام التالية ، انقطعت السرقات التي استفحل امرها في اوائل السنة . كما خف تزاحم تجار السيارات ، وانتهت مشكلات التأمين .. بين وكلاء الشركات ومراكزها الاساسية من جهة ، وبين هؤلاء الوكلاء والاشخاص الذين امنوا لديها على اموالهم من جهة ثانية .

وقد حدث امر آخر ذو بال . فقد اهتدت قوات الشرطة صدفة الى بعض صغار اللصوص .. المحترفين من المواطنين . فكان القبض عليهم امراً ارعب اللصوص غير المحترفين .. وان كان هؤلاء كسائر المجرمين الكبار بمأمن من طائلة القانون ، في كل مكان .

وتخطر لسليم سالم ذكريات عن بعض هؤلاء اللصوص ، الهواة ، يضحك لها تارة ، ويتألم تارة اخرى . فهذا واحد جمع الملايين ، في حياته ؛ ومع ذلك استمر ، في اواخر ايامه على ما تعوده في اوائلها . فكان يحرص كلما دخل احد المخازن الكبيرة على سرقة سكينة صغيرة او تحفة لا تتجاوز قيمتها قيمة تلك السكينة ! فيحار البائع في امر هذا الغني الكبير ، وما جبل عليه من صغارة ، كيف لم ترتفع نفسه الى مستوى ماله الوفير؟ ثم يأمر امين الصندوق .. بتسجيل الشيء المسروق الى جانب الاشياء التي اشتراها ذلك الغني الجديد !

وذاك وجيه خطير ، لا يتورع عن « الاحتفاظ » بالملعقة الفضية التي تناول بها الحساء ، في وليمة دعي اليها ..

ويقول الصحفي بصوت مرتفع ، تسمعه زوجته ، وهي التي علمت بكل شيء دون ان يطلعها على التفاصيل .

ــ وهؤلاء .. « الفرسان الثلاثة » ، ماذا ينقصهم حتى يسرقوا .. ادوات السيارات واقفال البيوت ،وقطع الابواب الحديدية ، وهم الذين يملكون العمارات ، ويعملون في اغنى الشركات ؟ ؟

فتجيب الزوجة ، وهي تقطع آخر الخيط من نسيج انهته ، باسنانها : ــ يا عزيزي .. اين عقلك ؟ لولا خيرات السرقة ، من اين لهم هذه العمارات والاستئثار بتلك الشركات ؟

ويلتفت سليم سالم الى المرأة التي تحدثه ، فيراها تبسم في وجهه ، وتغمز بعينيها ، ثم تقول :

ــ اجزاء السيارات .. وحديد البوابات .. جميعها نادرة الوجود الان .. ونحن في غمرة هذه الحرب التي علمنا كيف بدأت ولا ندري متى تنتهي بعد ان حملت الينا هذه الموجات من المجرمين الدوليين .. واللصوص البلديين !

فيهز سليم سالم رأسه بحرقة ، ثم يمد يده الى جيبه التي خبأ فيها، على حدة،القروش المسروقة،ثم يقول لزوجته : ــ وكيف عرفت .. انت .. اسرار هؤلاء اللصوص ؟

فتقول الزوجة عاتبة وساخرة معاً : ــ عرفت الاسرار .. منذ دخلت انت « حرم المجرمين ! » انكشف عنهم الاستار !

ويقهقه سليم سالم ، كما لم يفعل منذ زمن .. ويمد يده الى زوجته بالمال المسروق .. فتتناول المرأة تلك الوريقة القذرة بملقط النار .. ثم تلقيها في الموقد بحركة كانت ابلغ من كل كلام ثم تتمتم : ــ حتى الصدقة .. لا تجوز من المال الحرام !

وارتفع وسط لهيب الحطب المزغرد عمود اسود من دخان ادكن سرعان ما طغت عليه ألسنة النار الحمراء ، فاختفى الدخان كسارق الليل ، وتطهر الموقد كمن يتوب الى الله ويرجع نادماً الى سبيل الهدى .

وتقول الزوجة للزوج النادم المعتبر : ــ لقد ذهب المال الحرام مع الريح ، في نار آكلة ! فمتى يرحل المجرمون ... الكبار عن هذه الديار ؟

واصبح سليم سالم ، فاذا المدينة كلها تتحدث بما نشرته الصحف عن.. ثلاثة من كبار اللصوص قبضت عليهم السلطات . وجردتهم من اموالهم التي كدسوها منذ سنوات، ثم نفتهم الى خارج .. الحدود ! واكتشف الحاكم بذلك الدواء الواقي المنشود . واندك للمرة الاولى جدار ضخم في حرم المجرمين !

رشاد دارغوث

غريب

أنا عازف القيثار .. شردني الحنين على الطريق
زادي ترانيمي .. وهذا الليل لي أحنى رفيق

القرية السمراء وادعة على السفح الخصيب
ودجاجها المرواح خطار على الدرب الحبيب
وصغارها يتواثبون كما توثب عندليب
وانا أرى فيها الملاذ ... أليس لي فيه نصيب ؟
لكنني أبداً سأقطع عمري الذاوي غريب

انا عازف القيثار ، شردني الحنين على الطريق
زادي ترانيمي ، وهذا الليل لي أحنى رفيق

كم هزني السكن الدفيء على رحابك في الصباح
أسعى الى حقلي لألقى فيه لذات الكفاح
وأعود والليل الصديق اليك لهفان الجناح
لأنور الكوخ الصغير ، وأشرب الماء القراح
لكن قيدي ، آه من يطلق لي يوماً سراح ؟

انا عازف القيثار ، شردني الحنين على الطريق
زادي ترانيمي ، وهذا الليل لي أحنى رفيق

القاهرة — كمال نشأت

من رابطة النهر الخالد

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت

استاذ في العلوم

✡

تابع الباب السابع : ما وراء الطبيعة

الفصل الثاني : الجن – قدم الاعتقاد بالجن

ان الجن بحث طلي ممتع. والاعتقاد بالجن قديم جداً، ولربما شأى بالقدم الاعتقاد بالآلهـــة . وتكاد الميثولوجيا العالمية لا تخلو من هذا الاعتقاد الذي حافظ على بقائه منذ ان خشي الانسان خوافي الطبيعـة ، او الارواح المحتجبة عن عيوننا حتى يومنا هذا .

ولكل امة قديمة جن وشياطين تلعب دوراً هاماً في حياتها، لا يقل احياناً كثيرة عن دور الآلهة . وهي تختلف بالاسماء والافعال بحسب عقلية الشعب ومـــا ورثه من معتقدات ومؤثرات وقصص .

ومن بين تلك الشعوب القديمة امم الساميين ١) الذين بزغت في أراضيهم الديانات الثلاث الكبرى ... ونخص بالذكر هذا الشعب العربي الذي سكن بلاد العرب ، وحافظ في وجوده الخالد وحياة لغته على تراث الساميين اكثر من غيره.

والبحث يطول ويتسع مها أسهبنا فيه ، فلا نستطيع هنا الا ان نحيط بمختصر مفيد يشمل حديث هذا الباب..

لقد عم الاعتقاد في الجن الخاصة والعامة ، « فلم يخالف أحد – كما يقول ابن تيمية – من طوائف المسلمين في وجود الجن . وجمهور طوائف الكفار على اثبات الجن. أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم مقرون بهم كاقرار المسلمين ، وان وجد فيهم من ينكر ذلك فكما يوجـــد بعض طوائف المسلمين ، كالجهمية والمعتزلة. » ١) . وبهذا يقول الدميري : « فاعلم ان الاحاديث في وجود الجن والشياطين لا تحصى ، وكذلك أشعار العرب واخبارها، فالنزاع في ذلك مكابرة فيما هو معلوم بالتواتر » ٢)

ما هي الجن ؟

ومن الصعب تحديد الجن بتعريف خاص، ولا أظن ان تعريفاً محدوداً يعطينا ما تعطينا هذه اللفظة وحدها : « الجن » .

قال القزويني : – والكلام كما يقول القاسمي لابن سينا في كتاب الحدود ٣) – « زعموا ان الجن حيوان هوائي مشف الجرم من شأنه ان يتشكل باشكال مختلفة » ٤) وفي حياة الحيوان ، قال الدميري في تعريف الجن انها « اجسام هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة ، لها عقول وافهام وقدرة على الاعمال الشاقة » ٥) .

وما هذان التحديدان الا عبارة عن محاولة لتعريف الجن بحسب ما وصلت للمؤلفين الاخبار منذ الجاهلية . والتعريفان يكادان يجمعان أهم النقاط التي وردت في غيرهما من تعاريف العلماء والمفسرين والفلاسفة ٦) . وخير ما يتحصل من كلامهم انها مخلوقات مجردة عن الجسمية قادرة على التشكل !

وهم مخطئون في تحديدهم للجن ، لانهم لا يفرقون بين نوع وآخر ، فهي ، كما نستدل من اعتقاد القوم الذي تحمله لنـــا

---

١) Stephenson Herbert Langdon : The Mythology of All the World V.5, Semetic, Plimpton Press-Norwood. Mass. 1931 ص ٣٥٢

١) ص ٥ : آكام المرجان في احكام الجان لبدر الدين الشبلي

٢) ص ١٨٨ ج ١ : حياة الحيوان الكبرى للدميري (مصر ١٣٠٥). وراجع ص ١٠٦٦ ج ١ Enc. Islam

٣) راجع ص ١١٧ – مجلة المقتبس ١٩١٠

٤) ص ٣٦٨ : عجائب المخلوقات للقزويني جوتنجن ١٨٤٩ ٥) ص ١٨٥ ج ١ الدميري ٦) راجع اقوالهم مختصرة في المقتبس ص ١٧٧–١٩٤

الاخبار ،أصناف مختلفة: منها ما يقدر على التشكل ويملأ حيزاً ومنها ما يتشكل وهو جرم خيالي .

والسائد ان الله خلق الملائكة - كما ذكرنا - من نور، وخلق الجن والشياطين من اللهب والدخان. وقد ورد في الكتاب آيات تخبر ان النار عنصر الجن . قال تعالى : « والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم » ١) . وفي مكان آخر : « وخلق الجان من مارج من نار » ٢) . وعلى لسان ابليس حينما عصى ربه ولم يمتثل بالسجود لآدم : « خلقتني من نار وخلقته من طين » ٣) .

جن سليمان

والجن ،كما جاء في الاخبار ، هم سكان الارض قبل النوع البشري : اربعون فرقة كل فرقة ستمائة الف ... اكثروا في الارض فساداً وثاروا على الآلهة ، فلاحقتهم الملائكة وحاربتهم ، ثم شتتتهم وطردتهم الى اطراف الجزائر في البحور بعد ان أسرت منهم الكثير. كل ذلك وآدم لم يخلق بعد، ولم يسكن الارض ٤) .

ولعلهم لم يحشدوا ثانية الا لسليمان ، حيث نادى جبريل : ايتها الجن والشياطين ، أجيبوا باذن الله تعالى نبيّه سليمان بن داود ، فخرجت الجن والشياطين من المغارات ومن الجبال والآكام والاودية والفلوات والآجام وهي تقول: لبيك لبيك... والملائكة تسوقها سوق الراعي غنمه حتى حُشرت لسليمان طائعة ذليلة. ثم وقفوا بين يديه فجعل ينظر الى خلقها وعجائب صورها وهم بيض وسود وصفر وشقر وبلق ، على صور الخيل والبغال والسباع ... ولها خراطيم واذناب وحوافر وقرون... ثم قام سليمان وبيده الخاتم ، فخرّت الجن والشياطين ساجدة ، فأخذ يسألهم عن اديانهم وقبائلهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم ... ورأى المردة منهم يهمون بالفساد ففرقهم على الاعمال الشاقة ليدعم قوة ملكه .

ولقد خرف وهب بن منبه فقال: لما حشدت الريح الصرصر الجن لسليمان ، وجدهم على صور عجيبة . منهم من كان وجهه على قفاه يخرج من فيه النار ، ومنهم من كان يمشي على اربع ، ومنهم من كان له رأسان ، والبعض له رؤوس الاسد وابدان الفيلة. ورأى سليمان شيطاناً نصفه صورة كلب ، والنصف الآخر صورة سنور ، وله خرطوم طويل ، فسأله عن نفسه فذكر اسمه وقال صفتي الغناء وعصر الخمر وشربه ، وتزيين ذلك للبشر . فصفده وسأل آخر قبيح الشكل يقطر الدم من كل شعرة على بدنه ، فأجابه ان عمله سفك الدماء ، فامر بتصفيده ولكنه قدم عهداً بان لا يفسد فختم على عنقه واطلقه. ومر به ثالث في صورة قرد له اظافر كالمناجل ، وهو قابض على بربط ، فسأل عن اسمه وعمله ، فقال انا مرة بن الحارث ، اول من وضع هذا البربط وحركه ، فلا يجد احد لذة الملاهي الا بي ، فأمر بتصفيده ١) .

مواطن الجن في بلاد العرب

ولعل للوهم والخوف اكبر الاثر في تحديد اماكن الجن ومساكنها عند الاعراب، والا فلماذا لا تكثر معارضات الجن للاعراب الا في البوادي الجرداء، وبطون الاودية ؟ والا لماذا لا تعبث وتحوم الا في الخرائب والاماكن المهجورة حيث تحاك من حولها الخرافات المخيفة والاساطير التي تحذر الناس من الاقتراب من هذه المواضع ؟ ينقل الجاحظ عن بعض أصحاب التفاسير : « ان جماعة من العرب كانوا اذا صاروا في تيه من الارض وتوسطوا بلاد الوحش ، خافوا عبث الجنان والسعالي والغيلان والشياطين ، فيقوم احدهم فيرفع صوته: انا عائذون بسيد هذا الوادي ، فلا يؤذيهم احد ، وتصير لهم بذلك حفاوة » ٢) .

وليلاحظ ان الجن ، التي قالوا عنها انها حشدت لسليمان ، خرجت من المغاور والجبال والآكام والاودية والفلوات... وكلها اماكن رهيبة تلقي الرعب - وخاصة في هدأة الليل - في قلوب الناس .

ويقول الجاحظ ايضاً: « وتزعم الاعراب ان الله تعالى حين اهلك الامة التي كانت تسمى (وبّار) كما اهلك طسماً وجديساً وعملاق وثموداً وعاداً ، سكنت الجن في منازلهم وحمتها من كل من ارادها، وانها اخصب بلاد الله واكثرها شجراً واطيبها ثمراً واكثرها حباً وعنباً واكثرها ،نخلاً وموزاً فان دنا اليوم انسان من تلك البلاد متعمداً او غالطاً حثوا في وجهه التراب، فان أبى الرجوع خبلوه وربما قتلوه » ٣) .

وقد ضرب المثل في بعد الاهتداء لوبار ،وكثرت في ذلك الاشعار. وهم يتحدثون عن(وبار) كما يتحدثون عما يجدونه بالدو،

---

١) القرآن الكريم س١٥ آية ٢٧ ٢) القرآن الكريم س ٥٥ آية١٥
٣) « « س ٧ آية ١١
٤) راجع تفسير الطبري مصر ١٣١٠ ص ١٥٣ ج١ ، والقزويني ص٣٦٨ والشبلي ص ٩ - ١٠ ، ثم Langdon ص ٣٥٢

١) راجع القزويني ص٣٧٢-٣٧٤ ٢) البيان والتبيين للجاحظ الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٣٢ ص ٦٧ ج٦ ٣) البيان والتبيين ص ٦٦

والصمان ، والدهناء ، ورمل يبرين. يقول الجاحظ: « قالوا فليس اليوم في تلك البلاد الا الجن والابل الحوشية. والحوش من الابل عندهم هي التي قد ضربت فيها فحول ابل الجن . فالحوشية من نسل ابل الجن ... والعبدية والمهرية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الحوش » ١) .

وكثيراً ما تذكر الشعراء مواضع للجن يضرب بها المثل ، وهي في اماكن شتى في بلاد العرب، كأن يقولوا : جن البدي وجن البقار ، وجيهم ، وابرق الحنان الذي يسمع فيه عزيف الجن ، وذو سمار ، وعبقر ٢) وغيرها .

والهمذاني حينما يشير الى الاماكن التي ذكرها لبيد في قصيدته الكبرى ويأتي على البيت :

غلب تشذر بالذحول كأنها جن البدي رواسياً اقدامها

يقول : « البدي موضع ينسب اليه كثرة الجن . ولا يكاد يعرف ، كما يقال جن عبقر. وجن ذي سمار. وذو سمار موضع معروف. ويقولون غول الريضات : موضع معروف بنجد ، وجن وبار وهي ارض كانت امم من العرب العاربة تسكنها ، ولم الق من يعرفها » ٣) . « وقالوا شيطان الحماطة ، وغول القفر وجان العشر ، وشيطان عبقر. ونسب كل شيء في الجودة الى عبقر ، حتى قيل لم ار عبقرياً مثله » ٤) .

عبقر

ولعل عبقر اشهر ما يلفت النظر من هذه الاماكن . فهي مجنة كثر الاختلاف في تعيين موقعها . يقولون انها في ارض اليمن ، ويقولون انها موضع بنواحي اليمامة ، ويقولون ان عبقر اسم لجبل بالجزيرة كان يصنع به الوشي. ويعلق ياقوت بعد ذلك بقوله : ولعله كان بلداً قديماً وخرب، كان ينسب اليه الوشي، فلما لم يعرفوه نسبوه الى الجن، ومن ثم نسب كل شيء جيد الى عبقر ٥)

وخير ما في المعاجم اللغوية ان عبقر قرية يسكنها الجن فيما زعموا ، ينسبون اليها كل عمل دقيق وعظيم ٦) .

يقول امرؤ القيس في وصف جسرته الذلول :

كأن صليل المروحين تطيره صليل زيوف ينتقدن بعبقرا (٧)

١) البيان والتبيين ص ٦٦ ٢) ص ١٢٨، ١٥٤ : صفة جزيرة العرب للهمذاني مطبعة بريل – ليدن ١٨٨٤ ٣) ص ٢٢٣ : صفة جزيرة العرب
٤) ص ٢٨١ ج ١ : محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني مصر ١٣٢٦
٥) راجع ص ٦٠٦ – ٦٠٧ ج ٣ : معجم البلدان لياقوت ليبزك ١٨٦٦
٦) ص ٣٧٩ ج ٣ : لسان العرب لابن منظور
٧) ص ١٣٠ العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين غريفرولد ١٨٦٩

ومما جاء في مقدمة « عبقر المعلوف » ان عبقر على رأي (ادي اشير) فارسية من كلمة (ابكار) بمعنى الرونق والعزة والكمال او على راي الاستاذ انستاس الكرملي يونانية من كلمة Hyperkheir بمعنى (الذي تنال يده ما وراء مكنته) او من كلمة Hyperkheiria بمعنى (المحامية القوية اليد والقديرة) وهذا لقب يونون او هيرا اليونانية Héra التي كرمها القدماء ، وكل ذلك من معاني العبقرية اي الكمال من كل شيء او التفوق والقوة ١)

انتقال قرى الجن

وكثيرة تلك الروايات التي من شأنها اثبات اعتقادهم بانتقال قرى الجن بكاملها من مكان الى مكان بسرعة مدهشة ، كأن يقولوا مثلاً : مررنا بقوم ونزلنا للراحة عندهم ، ثم غادرناهم ، وعدنا بعد قليل فلم نجد للقوم اثراً فعلمنا انهم الجن . والشبلي في كتابه : « آكام المرجان في احكام الجان » ينقل عن الزمخشري، قال : « تقول الاعراب ربما نزلنا بجمع كثير ، ورأينا خياماً وناساً ثم فقدناهم من ساعتنا . يعتقدون انهم الجن وان تلك خيامهم وقبابهم . » ٢) ولا يستبعد ان يكون هذا الاعتقاد ناتجاً عن سرعة انتقال البدو من منتجع الى منتجع ، حتى اذا مر بهم قافل لم يجد الا آثارهم فيقول في نفسه كأنهم الجن. والبدوي لا يعوقه شيء من السفر ، وهل سفر البدوي غير هد ورحيل ؟

مطايا الجن

ومن لطيف ما يروى ان الجن تركب انواعاً كثيرة من الحيوانات والطيور والزواحف والحشرات . ذكر الراغب الاصفهاني قال : « ادعوا ان الجن يركب كل وحش من البهائم والطيور الا الارانب ... والضباع .. والقرد ... وقالوا يكثر ركوبها القنفذ والورل ... وقالوا من قتل من اول الليل بعض هذه المراكب لم يأمن على فحل ابله . ومتى اعتراه هم او مرض في ماله واهله حكموا بان ذلك عقوبة من قتلهم » ٣) .

وكثيراً ما يمتطون الظباء في البوادي . قال بعض الاعراب : « احلف بالله لقد كنت اجد بالظباء التوقيع في ظهورها والسمة في الآذان » ٤) ولم تنج الذئاب من ركوب

١) ص ٥ عبقر شفيق المعلوف مطبعة مجلة الشرق ١٩٣٦
٢) الشبلي ص ٢٣ ٣) الراغب الاصفهاني : ص ٢٨١ ج ٢
٤) البيان والتبيين للجاحظ ص ٧٤ ج ٦

الجن . جاء في الاغاني عن رجل روى فقال : « بينا نحن نسير بين انقاء من الارض تذاكرنا الشعر ، فاذا راكب اطيلس يقول : اشعر الناس زياد بن معاوية ، ثم تملص فلم نره » (١) .

على ان اشهر مطايا الجن ، واحب المركوبات اليها، النعام ، كما يظهر من اخبارهم . وفي عجائب المخلوقات قصة طريفة جرى ذكرها ، كما يزعمون ، في مجلس عمر بن الخطاب ، نثبتها على سبيل التفكيه والاستشهاد قال راويها : « خرجت عاشر عشرة نريد الشام فتأخرت عن اصحابي حتى اختلط الظلام ، فرفعت لي نار فقصدتها ، فاذا انا بخيمة امامها جارية جميلة ، فقلت لها ما تصنعين في هذا المكان ؟ فقالت انا جارية من فزارة اختطفني عفريت ، وهو يغيب عني بالليل ويأتيني بالنهار ، فقلت لها امضي معي ، فقالت اخاف على نفسي الهلاك ، فالححت عليها ، فأركبتها ناقتي ، وجعلت امشي حتى طلع القمر ، فالتفت فاذا ظليم عظيم عليه راكب ، فقالت : ها هو قد اتانا ، فما نريد نصنع ؟ فانخت الراحلة وانزلتها ، وخططت حولها ، وقرات آيات من القرآن وتعوذت بالله ، فتقدم وانشأ يقول :

يا ذا الذي لحين يدعوه القدر
خل عن الحسناء رسلا ثم سر
اني امرؤ مالك حين فاصطبر

فاجبت وقلت :

يا ذا الذي للحين يدعوه الحمق
خلي عن الحسناء رسلا وانطلق
فلست بالجن بأول من عشق

فبرز الي في صورة اسود فتصارعنا ، فلم يغلب احد منا صاحبه . فقال لي هل لك في خصلة من خصال ثلاث ؟ قلت ما هي ؟ قال : تجز ناصيتي وتعرض عن الجارية ، قلت ناصيتك اهون شيء علي . قال : فتأخذ ما تشاء من الابل . قلت : لا ابيع ديني بعرض من الدنيا . قال : فاخدمك ايام حياتك . قلت : ما لي الى خدمتك حاجة . فأنشأ يقول :

بلى جسدي والحب يبلى جديده ولم يبل مني اذا بلى جسدي وجدي
عليك سلام الله يا دعد ما جرت رياح الصبا في الغور يوماً وفي نجد

فسرت بها الى اهلها ، فزوجونيها ولي منها اولاد » ٢) .

وفي الاغاني روى حاج بصري قال : فاني لاسير في ليلة اضحيانة ، اذ نظرت الى رجل شاب راكب على ظليم ، قد زمه

١) ص ١٦٣ ج ٩ الاغاني ٢) ص ٣٧٣ - ٣٧٤ القزويني



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٠ جنيهاً او ٦٠ دولار كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس، شارع الكروشية

تليفون { الادارة : ٤٧ / ٩٢ — المنزل : ٣٧ / ٤٨
Tél. { Direct. : 92 - 47 — Dcle, : 48 - 37

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب
سكرتير التحرير : محمد يوسف نجم

توجه جميع الراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

بخطامه ، وهو يذهب عليه ويجيء ويرتجز ... فعلمت انه ليس بانسي ، فاستوحشت منه فتردد عليّ ذاهباً وراجعاً حتى انست به فسألته عن اشعر الناس فاجاب ... ثم ذهب [1] .

ولم يكن المعتقد بركوب الجن للنعامة عند الاعراب فحسب فلقد كان للنعامة صلة بالجن في الميثولوجيا العربية ، كما كان لها علاقة بالجن في الميثولوجيا البابلية ايضاً [2] .

اصناف الجن

وتختلف الروايات التي تضع الجن في مراتب وتقسمها الى اصناف . وقد نقل الشبلي قول ابي عمر بن عبد البرقال : « الجن عند اهل الكلام والعلم منزلون على مراتب فاذا ذكروا الجن خالصاً قالوا جني ، فان ارادوا انه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر والجمع عمار . فان كان ممن يعرض للصبيان قالوا ارواح فان خبث وتعزم فهو شيطان ، فان زاد على ذلك فهو مارد ، فان زاد على ذلك وقوي امره قالوا عفريت والجمع عفاريت » [3] وهم في الجملة جني وخواف فاذا ظهر الجني ونطق واتقى وصار كله خيراً فهو ملك [4] . وجاء في عيون الاخبار ان الشياطين مردة الجن ، والجان ضعفة الجن [5] .

وقد سئل وهب بن منبه عن الجن فقال : « هم اجناس ، فاما الصميم الخالص من الجن فانهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون في الدنيا ولا يتوالدون . ومنهم اجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم : السعالي والغيلان والقطارب واشباه ذلك » [6]

وفي عرض الحديث عن الجن يقول ابن كثير : « والمقصود ان الجان خلقوا من النار وهم كبني آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون » [7] . وينسبون الى النبي احاديث يؤخذ منها ان الجن اصناف : منها ما هو كالريح يطير في الهواء وبأجنحة ، ومنها حيوانات كالحيات والعقارب وخشاش الاوض ، ومنها ما يحل ويظعن كالآدميين وعليهم الحساب والعقاب [8] . وفي عجائب المخلوقات يأتي القزويني على فصل في ذكر بعض المتشيطنة واشهرها الغول والسعلاة . وقبل ان نذكر شيئاً

---

1) ص ٧٨ – ٧٩ جـ ٨ الاغاني 2) ص ٦، Langdon . ويراجع الدميري ص ١٨١ جـ ١ 3) ص ٨ الشبلي
4) البيان والتبيين ص ٥٨ ، ٥٩ جـ ٦
5) ص ١٠٩ جـ ٢ : عيون الاخبار لابن قتيبة دار الكتب ١٩٢٥
6) الدميري ص ١٩٢ جـ ١
7) ص ٥٦ جـ ١ البداية والنهاية لابن كثير مصر ١٣٤٨
8) الدميري ص ١٨٥ جـ ١ راجع الشبلي ص ١٧ – ١٨

عنهما نود ان نسوق كلمة عن شيخ الشياطين ...

ابليس

في رواية للطبري ان ابليس كان على راس الملائكة الذين ارسلهم الله الى محاربة الجن في الارض قبل خلق آدم [1] وفي الاخبار كما نقـل القزويني ان ابليس كان في الارض صغيراً حينما هبطت جند الملائكة وشتت الجن واسرت منهم الكثير . وكان نفسه بين الاسرى حيث نشأ مـع الملائكة [2] حتى سادهم ... الى ان كانت قصة العصيان ...

ففي الاولى نجد ان ابليس ملك تقي ثم انقلب الى شيطان رجيم ، وفي الثانية نجده في الاصل شيطـانا ... وارتفع الى مصاف الملائكة ثم انحدر من عليـاء الجنان ملعوناً الى جحيم الارض ، ولا بأس فقد مر معنا امكانية انتقال الجني الى ملك اذا اتقى وصار خيراً كله ، او بالعكس كما حدث لهـاروت وماروت .

وفي الكتاب آيتان يستدل من الواحدة ان ابليس ملك من الملائكة وهي « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين » [3] وفي الثانية نرى تصريحاً بان ابليس كان من الجن وهي «واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن » [4] . ونترك الآيتين كما هما دون تأويل مشيرين الى ان اختلاف الآراء في ابليس انما راجع لها . اما القائلين بان ابليس من اصل جني فاكثر واشهر . يقول البيضاوي « على ان الملك لا يعصى ، وانما عصى ابليس لانه كان جنياً في اصله » [5] . وذكر المسعودي ان الله تعالى خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته كما خلق حواء من آدم وان الجان غشيها فحملت منه » [6] .

وقال الدميري « واعلم ان المشهور ان جميع الجن من ذرية ابليس » ، وبذلك يستدل على انه ليس من الملائكة ، لان الملائكة لا يتناسلون لانهم ليس فيهم اناث » [7]

ثورته

وتتلخص غضبة الله عـلى ابليس بكبريائه وترفعه بعنصره

---

1) ص ١٥٣ جـ ١ تفسير الطبري 2) ص ٣٦٨ القزويني
3) القرآن الكريم س ٢ آية ٣٢ 4) القرآن الكريم س ١٨ آية ٢٨
5) ص ٥٦٥ جـ ١ : انوار التنزيل للبيضاوي ليبزك ١٨٤٦ – ٤٨
6) ص ٣٢٠ جـ ٣ : مروج الذهب للمسعودي باريس ١٨٦١
7) ص ١٩١ جـ ١ الدميري

« النار » (وهذا ما يؤيد انه من مصاف الجن) على الصلصال والحمأ المسنون ، ويبتدىء النضال الروحي بين ذريته وذرية خصمه آدم . وقد طلب منذ البدء من الله ان ينظره الى يوم يبعثون ليضل الانسان عن سبيله . وقد جاء على لسانه : « قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين » ١)

بعد هذا كله نرى ان ابليس : اسمه وقصة عصيانه انما هما من مستوردات العرب ، وليس لنا بهما شيء اصلي البتة . قال النووي « ابليس كنيته ابو مرة . واختلف العلماء في انه هل هو من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن ام ليس من الملائكة ، وفي اسمه هل هو اسم اعجمي ام عربي »؟ ٢) وجاء في الدميري ان اسمه كان بالعبرانية عزازيل ٣) .. وكلما تقرأ شيئاً عنه يتبين لك شعورهم باجنبية ابليس وما يتعلق به .

وقد عرض لذلك Langdon في كتابه « الميثولوجيا السامية » فرأى ان اسطورة عصيان ابليس الاسلامية على الخالق انما هي مستمدة من القصة المسيحية اليهودية المذكورة في « اسفار آدم وحواء ».

اصل الكلمة

ويرى كذلك ان الكلمة نفسها « ابليس » مستعارة في العربية من الكلمة اليونانية Diabolos بمعنى الشيطان Devil ٤) ومن هذا القبيل يرى نلدكه ان كلمة جن نفسها ربما كانت متعلقة باصطلاحات دينية استعملت في بعض اللغات السامية ، وان كان يرى ان جمعها (جنان) ذو شبه كبير بالكلمة الحبشية Ganen التي تعطي نفس المعنى ، وكذلك يرى ان كلمة « شيطان » مستعارة في اللغة العربية فهي تتفق كل الاتفاق مع « شيطان » الحبشية المشتقة من Satan العبرية ٥) .

فتنة للبشر

هذا ، ويتخذ ابليس عرشه على الماء . ومن هناك يرسل الشياطين لفتنة البشر ، وتكون المكافأة نسبية مع مقدار هذه الفتنة . اعظمهم عنده منزلة اشدهم فتنة . والظاهر ان التفريق بين الرجل وزوجه شيء مستحب عنده ٦) وهو يجازي اولئك

١) القرآن الكريم س ١٥ آية ٣٩
٢) الدميري ص ١٩١ ج ١ ٣) نفس المصدر
٤) صفحة ٣٥٤ و ٣٥٥ Langdon
٥) ص ٦٦٦ ج ١ Enc. of Religion and Ethicth
٦) الشبلي ص ١٧٥

الذين يعجزون عن فتنة البشر مجازاة قاسية . جاء في « آكام المرجان في احكام الجان »: « ان ابليس اتخذ عرشاً على الماء ووكل بكل رجل شيطانين واجلهما سنة ، فان فتناه ، والا قطع ايديهما وارجلهما ، وصلبهما ثم بعث له شيطانين آخرين » ١)

اولاد ابليس

ومن الشياطين الابطال خمسة ، يزينون الصغائر والكبائر للناس ، وهم اولاد ابليس على رأي مجاهد ، قال : « لابليس خمسة من الاولاد ، وقد جعل كل واحد منهم على شيء من امره ، فذكر ان اسماءهم : ثبر، والاعور، ومسبوط، وداسم، وزلنبور ! اما ثبر فصاحب المصايب يأمر بالثبور وشق الجيوب، واما الاعور فانه صاحب الزناء يأمر به ويزينه في اعينهم ... واما مسبوط فصاحب الكذب ، واما داسم فيدخل بين الزوجين ويوقع بينهما البغضاء .. واما زلنبور فهو صاحب السوق ، وبسببه لا يزال اهل السوق مخاصمين » ٢) .

مصايده : النساء !

ومن لطيف ما ينسبون الى النبي -عن ابي امامة -قوله: « ان ابليس لما نزل الى الارض قال : يا رب انزلتني وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتاً ، قال : الحمام .. قال : فاجعل لي مجلساً ، قال : الاسواق ، ومجامع الطرق .. قال : فاجعل لي طعاماً ، قال : ما لم يذكر اسم الله عليه .. قال : فاجعل لي شراباً ، قال : كل مسكر .. قال: فاجعل لي مؤذناً . قال: المزامير ، قال : فاجعل لي قرآناً ، قال : الشعر .. قال : فاجعل لي خطا ، قال : الوشم .. قال : فاجعل لي حديثاً ، قال : الكذب .. قال : فاجعل لي مصايد ، قال : النساء .. » ٣) .

الغيلان والسعالي

الغول اشهر المتشيطنة في رأي القزويني . وهو، كما زعموا، « حيوان مشوه لم تحكمه الطبيعة ، وانه لما خرج مفرداً لم يستأنس وتوحش ، وطلب القفار ، وهو يناسب الانسان والبهيمة ، وانه يتراءى لمن يسافر وحده في الليالي واوقات الخلوات ، فيتوهم انه انسان فيصد المسافر عن الطريق » ٤) وقد

١) الشبلي ص ١٧٦ ٢) القزويني ص٣٦٣ ٣) القزويني ص٣٦٨
٤) القزويني ص٣٧٠

حدده الجاحظ قبل ذلك فقال: «الغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والثياب ذكراً كان ام انثى، الا ان الاكثر على انه انثى» ١). والدميري يقول: «الغول بالضم احد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين، وهم سحرتهم». ونقل عن الجوهري قوله: «هو من السعالي والجمع اغوال وغيلان، وكل ما اغتال الانسان فأهلكه فهو غول، والتغول التلون.. ويقال تغولت المرأة اذا تلونت. ويقال غالته غول، اذا وقع في مهلكة» ٢).

وقال المسعودي: «وللعرب في الغيلان والتغول اخبار طريفة لانهم يزعمون ان الغول يتلون لهم عند الخلوات، وانها تظهر لخواصهم في انواع من الصور يخاطبونها، وربما باضعوها، وقد اكثروا من ذلك في اشعارهم» ٣). «ويزعمون ان رجليه رجلا عير، فكانوا اذا اعترضتهم الغول في الفيافي يرتجزون فيقولون:

يا رجل عير انهقي نهيقا ... لن نترك السبسب والطريقا

وذلك انها كانت تتراءى لهم في الليالي واوقات الخلوات، فيتواهمون انها منهم، فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق الذي هم عليه، وتتيههم ٤) وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه، فلم يكونوا يزولون عما هم عليه من القصد. فاذا صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الاودية ورؤوس الجبال» ٥).

ومن غريب ما يروون عن الغول انها اذا ضربت ضربة واحدة ماتت، الا ان يعيد عليها الضارب قبل ان تقضي ضربة اخرى، فان فعل ذلك لم تمت. ولهذا اشار الشاعر بقوله:

فثنيت والمقدار يحرس اهله ... فليت يميني قبل ذلك شلت ٦)

واما السعلاة فلا اراها تفترق عن الغول. قال الجاحظ «والسعلاة اسم لواحدة من نساء الجن تتغول لتفتن السفار. قالوا وانما هذا على العبث او لعلها ان تفزع انساناً فيتغير عقله من اجله عند ذلك، لانهم لم يسلطوا على الصحيح العقل» ٧) ويرى الدميري انها اخبث الغيلان، ونقل عن غيره ان السعالي سحرة الجن ٨) واخذ عن السهيلي قوله ان «السعلاة ما يتراءى للناس بالنهار والغول ما يتراءى للناس بالليل» ١) واما القزويني فيرى ان السعلاة نوع من المتشيطنة متغايرة للغول. وانها اكثر ما توجد في الغياض، واذا ظفرت بانسان ترقصه وتلعب به كما يلعب الهرة بالفأرة.. ويذكر انها الذئب يفترسها فتستغيث الا ان القوم يعلمون انها السعلاة فلا يغيثها احد فيأكلها الذئب: ٢) ولا ادري كيف يتمكن الذئب من افتراس من يلعب بالانسان كما يلعب القط بالفار؟ وكثيرون من الناس من يفترسون الذئب نفسه!!

ومما ذكره ابن منظور ان السعلاة ساحرة الجن كما ذكر الدميري، على انه اشار الى القول بانها هي الغول عينها التي تذكرها العرب في اشعارها ٣).

تشكل الغيلان والشياطين

وكما ان للملائكة القدرة على التشكل كذلك تتشكل الغيلان وغيرها من الجن في صور مختلفة. وقد ضرب ابن زهير تلون الغول مثلاً لتحول «سعاد» فقال:

وما تزال على حال تكون بها ... كما تلون في اثوابها الغول

وقد زعموا ان الجن والشياطين والغيلان يتحولون في اي صورة شاؤوا الا الغول فانها تتحول في جميع صور المرأة ولباسها الا رجليها فلابد ان يكونا رجلي حمار ٤). وقال الشبلي لا شك ان الجن يتطورون ويتشكلون في صور الانس والبهائم فيتصورون في صور الحيات والعقارب، وفي صور الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم كما أتى الشيطان قريشا في صورة سراقة بن مالك جعشم لما ارادوا الخروج الى بدر» وكما يروى انه تصور في صورة شيخ نجدي لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في امر الرسول صلى الله عليه وسلم هل يقتلوه او يحبسوه او يخرجوه» ٥).

كذلك تمثل ابليس في صورة شيخ نجدي وجاء قريشاً لما اختلفت في امر الركن والتجأت الى محمد ٦).

محمود الحوت

١) البيان والتبيين للجاحظ ص ٤٨ ج ٦
٢) الدميري ص ١٦٧ ج ٢   ٣) مروج الذهب ص ٣١٤ ج ٣
٤) راجع الدميري ص ١٦٧ ج ٢   ٥) مروج الذهب ص ٣١٥ الى ٣١٦ ج ٣   ٦) البيان والتبيين ص ٧٢ ج ٦   ٧) نفس المصدر ص ٤٨
٨) الدميري ص ١٨ و ١٦٨ ج ٢

١) الدميري ص ٢٠
٢) القزويني ص٣٧٠ الى ٣٧١   ٣) لسان العرب ص ٤١٨ ج ٧
٤) البيان والتبيين ص ٦٨ ج ٦   ٥) الشبلي ص ١٨ الى ١٩
٦) الشبلي ص ١٨٧

مجهولة

✡

هبيني خلاصي قبل فوت.. فأنني عطشت الى ان كدت أجترع السمّا!

هذيت بما يوضيك في عمق وحدتي وعشت على وحي طريداً مع الحمّى

غدوت يتيم الروح في كل ما أرى واصبحت أشقى من يجوع ومن يظما

هبيني خلاصي من جنون ووحشة وكوني لي الاخت المحبة والأما

حملتك كالفردوس في قلب مؤمن وكالشمس عين الشمس في ظلمة الاعمى

اهدهد اوجاعي ببسمة صابر وألثم في غيبوبتي ذلك الحلما

وأنكر اشباحاً أراها، لانني سألقاك يوماً ما، واهواك يوماً ما!

فيا رض ميعادي ويا عتق وحدتي ويا بيت أحلامي ويا فرحتي العظمى

ويا كل ما أخفى البلى من احبتي! ويا كل شوق لا يباح ولا يسمى

اريدك، كي أحيا، وتسعد ميتتي.. فلا ألعن الماضي، ولا اشتكي العقما

ولا اصبغ الدنيا بلون ندامتي واسخط في ويلاتها الروح والجسما

ذخرت لك الحب العزيز.. فأن طغى وجن ولم تاتي.. فما أضيع الهمّا

وما أفظع الماضي ارتساماً لذاكر وما أقبح الآتي الذي قط ما تمّا

البصرة ـ العراق
محمود البريكان

مالك الحزين

بقلم احمد سويد المحامي
من اسرة الجبل الملهم

✡

أنور ان تعرف لِمَ سموة مالك الحزين ؟ ! تصور اذن ذلك الطائر الهزيل الذي يجثم على الشط وقد ثنى احدى رجليه وطواها تحت جناحه القاتم ، وجمد ، يحدق في اللانهاية كأنه يحمل في رأسه الصغير هموم الدنيا ومتاعب الناس!

لقد كانوا يدعونه من قبل ، عبد الخالق ولكنه سرعان ما فقد هذا الاسم الذي ورثه عن والديــه ، وبقي له الشطر الثاني من التركة الضخمة ... شطر الدموع والانات ومرارة البؤس ولوعة الحسرات .

اما كيف تشبث به لقب مالك الحزين فهو لا يدري ، وكل ما يدريه انه اصبح علماً له منذ الحادث المشؤوم الذي لا يتذكره الا ليقذف باللعنة المرة وجه عزرائيـل ، عزرائيل القاسي الذي عفا عنه ، واطلقه من قبضته ليعيش كما تعيش الكلاب الشاردة من خيرات المزابل ، وصدقات الخيرين ، ان اتسعت دنيا الناس للخير والخيرين !

لقد كان ذلك منذ خمس سنوات ، وكان يومها يقف على عتبتين : عتبة العام الثامن من عمره المنكود ، وعتبة مطعم تتسرب من مداخنه رائحة الشواء لتتحدى جوعــه المزمن وتسمره عــلى المدخل اكثر من ساعتين ، تردد خلالهما في الدخول وقرر اخيراً ان يكتفي من المغامرة بمراقبة الآكلين السعداء من وراء الزجاج ، يلوك الفراغ ويزدرد ريقه المر كلما ازدرد احدهم لقمة وتلذذ بنكهتها . غير ان قراره هذا لم يلبث ان تهافت سريعاً امام اغراء الاطباق الشهية التي كانت تتهادى في طريقها الى الزبائن وفي تهاديها استفزاز لبطنه الضامر ، ومن بخارها المتصاعد يمتد لسان النعمة طويــلا طويـلا ، لينكره بلؤم الشامت الساخر !

وما كان لعبد الخالق ان ينسى مخاطر المجازفة لولا ان شجعه عليها سخاء تلك السيدة القابعة في زاوية دافئة من زوايا المطعم ، تمنح اشهى ما زخرت به مائدتهــا لكلبها الاسود الرابض عند قدميها الصغيرتين فيتناوله المخلوق السعيد بتعفف المتخم ، ودلال الواثق من منزلته .

... ودفع عبد الخالق الباب برفق وانسل الى الداخـل كالدودة الكريهة ، وراح يجر جثته المتعفنة نحو السيدة السخية الغارقة في العطر والنور والفرو ، وانتصب امامها كالذل وبسط كفه القذرة فبدت اصابعه هزيلة شاحبة كعيدان الكبريت :

— حسنة لله .

قالها بانكسار اليتيم وضراعة البائس ، فرمقته السيدة المترفة بنظرة يفيض منها الاشمئزاز ورنت الى كلبها كأنها تشفق ان تنتقل اليه عدوى التقزز ، ويفقده المنظر الزري شهيته للاكل ثم رفعت بصرها لترجم صاحب المطعم المنهمك بحساباته بنظرات ينصب منها لهب التعنيف كأنها تحاسبه على اهماله ، وعدم سهره على راحة الزبائن .

واثارت النظرات المؤنبة حمية الاسطه منصور ، فتدحرج من فوق منبره ، وقذف كرشه المنفوخ امامه ، وجمع قبضته كأنها المطرقة وهرول نحو عبد الخالق كالثور الهائج ، يتطاير الزبد من شدقيه وتتطاير معه ارق الشتائم يهديها حارة شهية لكل من دب فوق التراب من فصيلة الشحاذين !



... وحين كان الصبي ينط بخفة الصرصور لينجو من نقمة الصاعقة التي تستهدف يافوخـه كان الكلب المدلل يرنو اليه مشفقاً او كالمشفق ،

وكان عبد الخالق يتشهى لو تهادنه القبضة الرهيبة هنيهة ليرد على عاطفة الحيوان الكريم بنظرة شاكرة على الاقل ، ولكن الاسطه منصور حرمه هذه اللذة اذ ما زال قنطار او يزيد من اللحم المترهل يتدحرج وراءه وقبضة غاشمة يضج فيها الوعيد تلاحقه كظل الموت .

... وتعلق عبد الخالق بحافلة كهربائية كانت تمر انذاك وظن انه بذلك وجد الطمأنينة والامن وربح السلامة ، ولكن قاطع التذاكر الذي كان منتصباً في مدخل الحافلة كالعملاق ، خيب ظنه ، اذ استقبله بصفعة « خيرة » تعود ان يهبها لامثاله من المتشردين الذين يقفزون كالجنادب عن حفاف الطريق ويتعلقون كالعناكب على مصاعد الحافلات حتى اذا قيل لهم : « يلا يا شباب » راغوا كالثعالب ، ونكبوا الشركة بقسم من رزقها اليومي .

... ولم يكتف عملاق الترام بالصفعة بل اردفها برفسة جعلت الصبي ينزلق كالسهم لتمر الحافلة على فخذه الايسر ، فتقتطعه ، وتتابع سيرها مطمئنة كأن ما نهشته عجلاتها جثة لبعوضة هي احقر من ان تثير اهتمام الناس وفضول الادميين!

ومنذ ذلك الحين تشبث لقب مالك الحزين بعبد الخالق ، ويعلم الله ان الصبي كره هذا اللقب السمج في بدء عهده به ، كرهه للحياة ومهازلها ، ولكنه ما لبث ان ارتاح اليه واندمج فيه لدرجة نسي معها اسمه العتيق ، اسمه الذي استفاق على رنينه الحلو يوم انسابت حروفه لاول مرة من بين شفتي امه ! !

ولملم مالك الحزين اسماله والبقية الباقية من قواه وحاول جاهداً ان يتخلص من اشباح الماضي هذه الاشباح البغيضة التي استوقفته منذ ساعة ، عند منعطف الطريق ، وحشرته في زاوية مظلمة مقفرة لتتواثب عليه كالجنيات الشرسة وتنهشه كالذئاب الجائعة ... وما كاد ينتزع قدمه الوحيدة من مغرسها في الثلج حتى احس بلحمها يكاد يتساقط وبدبيب الصقيع ينتقل من هذا اللحم المهترىء الى عظمه الناحل ، الى صلب هذا العظم ، ثم يتخطاه الى ذلك العكاز الخشبي الهزيل الغارز تحت ابطه كأنه بودان يخترق ضلوعه مفتشاً عن الدفء وراء هذه الضلوع

... وكان عقرب الساعة آنذاك يزحف متثائباً نحو الثامنة صباحاً ، وكان جرس المدرسة القريبة يقرع فتلبي نداءه زرافات الاطفال ، ينفرون على رنينه الحلو خفافا كعصافير الجنة ، وقد تألق في وجناتهم وهج الدفء وشعت من عيونهم قناعة الشبع وضجت في مرحهم الصاخب سعادة الرضا عن الدنيا .

ووقف مالك الحزين يتأملهم بحسرة !

اتراه يحقد عليهم ! ... لا ، لا .. ان مالك الحزين لا يحقد على هؤلاء الصغار ، فهو وان احس بتلك الموجه الحائرة من الحقد المزلزل تكاد تفجر صدره الصغير ؛ فانه على مثل اليقين انها لا تستهدفهم مطلقاً .

وكل ما في الامر انه يغبطهم ويغار منهم ... يغار منهم لان لهم امهات يغمرنهم بحنانهن الدافيء ، واباء يبسطون عليهم جناح الابوة وظل الحماية ، وبيوتاً يتخيلهم يمرحون في جنباتها ناعمين ومدارس تحتضنهم حادبة لتصنع منهم عدة البلاد في غدها القريب

امـا هو .. فالتعاسة امه والذل ابوه ، ومأواه او على الاصح وجاره ، ثقب ضيق في جدار اسطبل عتيق ، يقوم في

طرف المدينة تزاحمه عليه الجرذان ، وتنازعه الضجعة الهادئة فيه الزواحف والهوام ، ومع ذلك لا يفتأ مضيفه «ابومشهور» يتغنى بهذه المبرة ويدخلها في قائمة حسناته ، حين يعدد هذه الحسنات وما اكثر ما يعددها على مسامع اهل الحي ، فيقول لهم بلهجة الواعظ ، وهو يتفل على اطراف اصـابعه ويرطب شاربيه ليثير قابليتها « للعنقصة » : « على المرء ان يعمل لآخرته فهذا مالك الحزين لولا ايواء « العبد الفقير » له ... لكان اليوم في عداد الراحلين » !

اما المدرسة التي تحتضن مالك الحزين وتغمره بحنانهـا الدافيء ، فانعم بها من مدرسة .. رحبة كفضاء الله واسعة كرحمته مشرعة الابواب لكل محروم . انها مدرسة الازقة التي تنمو في ظلماتها الرذيلة،وتشع من زواياهاعبقرية الاجرام.

مدرسة الجوع الكافر العنيد المكب على صناديق القمامات يتفحصها ويبحث في اجوافهـا عن كنوز القشور ... قشور الموز والبرتقال !

... واحس مالك الحزين بدمعة كاوية تكرج على خده الباهت ، وهو يسلخ بصره الغائم عن قرميد المدرسة الاحمر ، وملعبها الواسع حيث ينتثر الاطفال ، « عرايابهم » الكاكية فيبدون لعينيه كصغـار الحملان .. ثم سار محدودب الظهر ، ضئيلا كالحقارة ، سخيفاً كاللعنة ، وقد تركز كل تفكيره في بطنه ، في هذا البطن اللعين الذي يخيل اليه ان الجوع قد التهم فيه كل شيء .. حتى امعاءه .

... وتقتحم انفه فجأة رائحة خبز تتصاعد شهية كأنهـا دعوة الى الشبع حارة ، فيطلق عينيه وانفه وساقه الوحيدة ، في كل صوب باحثاً عن الجنة التي يتضوع منها شذا هذه النعمة، وسرعان ما يهتدي الى الفرن القريب ، فيتساحب نحوه ليجثم امام واجهته كالجرو الطريد وفي عينيه استكانة السؤال وذل الاستجداء .

... وحدثته الارغفة المحمرة — وهو يتتبع بعينيه النهمتين رحلتها السعيدة من بيت النار الى الواجهة الزجاجية — الف حديث شهي حلو فود بتفكيره الصبياني لو يهبه الشيطان انفه الاسطوري ليمده عبر الحواجز ، ويمرغه في خدودها الوردية ويشمها عن كثب ملء رئتيه ، او يتلطف فيعيره — للحظة واحدة — قبعة الاخفاء قبعته التي سمع الكثير عن معجزاتها ، لينسل تحت حمايتها الى هذا النعيم الذي يؤكد جازماً ان اشباح الجوع لا يمكن ان تطأ ارضه ابداً .

وعبثاً انتظر مالك الحزين ان يحقق الشيطان حسن ظنه فيه ، او ان يستثير بؤسه شفقة اصحاب الفرن فيلقون اليه حفنة من فتات خبزهم يكون لها معنى الصدقة وسماحة الزكاة.

... وعصفت الريح عاتية ، واشتدت معها وطأة الزمهرير ، وعصفت بخاطر الصبي فكرة رهيبة جالدها طويلا وصارعها بضراوة ووحشية ، ولكنها ظلت رغم ذلك اقوى من جلاده واقوى من كيانه ، فتغلبت لاول مرة على قوى الخير فيه ، وجرته من ناحيته فاذا به يجفو مربضه البارد ويدب على ثلاث، ليتسلل بخفة الثعلب السارق الى داخل الفرن .

وحين كان يدس في صدره الرغيفين اللذين اختطفهما كانت يد ضخمة كأنها يد القدر تهوي على كتفيه ثقيلة كالنقمة فتقبض عليه بالجرم المشهود وتضغطه خانقة فيكاد من وطأتها وخجله يغور في الاعماق .

وبعد دقائق قليلة اقبل خمسة من رجال البوليس ليسوقوا المجرم « الخطر » الى حيث تؤدبه الدولة ، وتصون المجتمع من شروره ، وقال كبيرهم ، بلهجة الظافر ، وهـو « يرفس » بجزمته الحمراء قفا الصبي الاعرج :

... « واخيراً وقع في الشكبة ، انه بلا ريب بطل تلك السلسلة من السرقات الغامضةالتي حيرتنا واقضت مضاجع المدينة»

وضحك المنطق من حضرة المعاون ، ولكن حضرته لم يسمع لانه كان منهمكا بأمر مهم جداً ، لقد كان يرنو الى صدره باعتزاز ليبحث في زحمة النياشين عن مكان لائق للنيشان الجديد الذي قد تمنحه اياه الدولة بعد هذا الظفر تقديراً لنشاطه وسهره على الامن ومقتنيات الناس وبراعته في اتهام الابرياء وتجريمهم وامداد السجون بزادها اليومي من الزبائن ! !

وتساءل مالك الحزين وقد رأى الكلابة الحديدية تطبق على يديه بعهر الخطيئة : الى اين تأخذونني؟... وجاءه الجواب مشحوناً بكل ما في السخرية من لؤم .

— « الى بيت خالتك » !

فبرقت اسارير اللص الاعرج وقهقه ملء شدقيه ، لانـه عرف الآن الطريق الى بيت خالته .. الى السجن ، الى ذلك القبر الواسع الذي تجود به الدولة على ضيوفهـا فيه بكسرة الخبز يابسة ، حين تحرمهم اياها دنيا الطلقاء ...

احمد سويد المحامي

الاعمى

☆

لنجيب محمد سرور

•

القاهرة

☆



الأعمى أماه .. ما لون السماء
وما السحاب وما الصفاء
وما الظلام وما الضياء
اماه .. !!
لا أدري السماء
الأم الكل لا يدري بها ..
الاعمى اواهُ .. لا تدرينها ؟ !
الام منذا درى ؟
الاعمى عجباً ! !
الام ومالكَ تعجب
الكل مثلك لا يرى
الاعمى إني جلست الى الرفاق فحدثوا
قالوا :
« هناك الخلد بعد المنتهى
بحر كبيرٌ
من شراب السكر
حلوى .. وسلوى .. والاماني
والمنى .. »
في اي شيء ها هنا نبقى
ولِمْ لا نرحل
الخلد يا اماه .. لا تدرينه ؟!!
الام لا الخلد ادريه ..
ولا شيءً هنالك او هنا ..
اتريد بحراً من شراب السكر
الاعمى يا ليت ! !
الام حسبك قطرة
البئر لا يحوي على الضيق

الخضم الاكبر
الاعمى بل قيل لي بالامس
فيما حدثوا :
« العين تحوي ذا الخضم
وأكبرا .. »
انا لا أرى
الام الكل مثلك لا يرى
الاعمى قالوا :
« هناك الخلد بعد المنتهى
وهناك بحر ترتوي منه
العيون
بحر الضياء
النور فيه على المشاع
والكل في الخلد يصير
إني رفعت الى السماء محاجري
ظمأى الى النور البعيد
وجلست انتظر المطر
فلعل يسقط فيهما
بعض الرذاذ فارتوي
واذا بسيل غامر
ملأ المحاجر وانحدر
في وجنتي
الارض تحتي يابسه !!
والعشب تحتي لم يبل
واذا انا وحدي غريق
في دموعي
وإذن ...
فاين البحر يا اماه ...
بل اين المطر
انا لا ارى
الام الكل مثلك لا يرى
الاعمى وتبعت عكازي
ورحت اجوب في الليل القفار
لا النجم يهديني
ولا عين تنير لي الطريق
ولا دليل
واذا رفاقي قافلين
سألتهم قالوا :
« مضينا في الدروب
لا النجم يهدينا
ولا عين تنير لنا الطريق
ولا دليل .. »
وحطمت عكازي
وعدت مع الرفاق
اماه .. ما هذا الظلام ؟
انا لا أرى
الام الكل مثلك لا يرى
الاعمى انا فيهم الاعمى
الام وماذا في العمى ؟
الاعمى ولهم عيون
الام بني .. هلا ابصروا
الاعمى بل ابصروا ..
قالوا :
الام وكم قالوا
وكل كاذب
الاعمى هل تصدقين ،
الام وهل ارى ؟
الاعمى اماه ضقنا بالسما
والارض قد ضاقت بنا
اين السبيل
هل نحن أهل الكهف
الام بل نحن الكهوف
الاعمى والقبر يا اماه ...
الام بل نحن القبور
إننا فينا
وكلٌّ في الظلام
لا اراني .. هل تراني ؟؟
الاعمى قيل ان متنا نرى
الام نحن الموات فهل نرى ؟
الاعمى ومتى نرى ؟
ومتى النشور ؟
الام . . . .
الاعمى ولم انا اعمى
وما لون السماء
وما السحاب وما الصفاء
وما الظلام .. وما الضياء ؟؟؟
الام وهل ارى حتى ارى ؟
انا لا ارى
وانت مثلي لا ترى
والكل مثلي لا يرى

بقلم الاب مرمرجي الدومنكي
احد اساتذة المعهد الكتابي والاثاري الفرنسي بالقدس
وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

ب : أذن

مفتاً اشتقاق هذه المادة من « دَنْ » الثنائي الخفيف ، ومثقله « دَنّ » ، ومكرره « دَندَن » وفي كلها دلالة على صوت الذباب . ومبدل « دَنْ » و«دَندَنْ » هو « طَنْ » و«طَنْطن » . و« دَنْ » الثنائي توسع بزيادة الهمزة تتويجاً ، فاصبح الثلاثي « أذن ».وغير خافٍ ان الدال والذال تتعاقبان . مثال ذلك «دّلى وذّلى . تدأدأ وتذأذأ ، ثم ودر، وذر » . ومن صوت « الدندنة » اشتقت الآلة التي يسمع بها الصوت، وهي «الأذن» ومن الأذْن، ارتجلت المشتقات التالية. وفي سائرها معنى السماع والاسماع للصوت ، حقيقة ومجازاً .

أذَن فلاناً : اصاب أذنه . و— الصبي : عرك اذنه ونقرها. و— التامُ : خرجت خوصته. وهي تشبه الاذن .أذِن الرجلُ شكا اذنه . و— للهو : استمع اليه . و— بالأمر : علم به ، اي ادركه يسمعه اياه. و— لرائحة الطعام او لحديث فلان : اذا اشتهاه ، اي احبه بعد معرفته اياه بالسماع و— له في الشيء : اباحه له ، اي القى في اذنه ما يرضيه . و— له عليه : نال له منه الاذن ، اي السماح المبّلغ عن طريق الاذن .

آذَن العشبُ : اذا بدأ يجف ، فبعضه رطب ، وبعضه يابس . فكأن الجزء اليابس يخبر او يسمع بقرب يبوسة الجزء الرطب ، و— النعلَ وغيرها : جعل لها أذْناً. وهو ما اطاف بالقِبال، وهو ما يشبه الأذن . وآذنه:أصاب اذنه.و - زيداً: منعه ورده، لان المنع يتم بالكلام المسموع بالاذن. و— زيداً الشيء وبه : اسمعه اياه واعلمه به. و— المؤذّن بالصلاة : نادى اليها واعلم بها. اذّن فلاناً: عرك اذنه ونقرها.و— النعلَ:جعل لها أذناً. و— فلاناً : رده عن الشرب ، فلم يسقه.و— المؤذّن: نادى الى الصلاة . و— الرجل : اكثر الاعلام عن الشيء .

تأذن الرجلُ : اقسم . لان القَسَم يجري بالصوت ليسمعه الغير . و— الاميرُ في الناس : اذا نادى فيهم ناهياً مهدداً . استأذن في كذا : طلب الاذْن ، اي الرخصة .

الاُذْن والأُذُن : آلة السمع : ومن باب المجاز: المقبض والعروة من كل شيء. كاذن الكوز والدلو، على التشبيه. و— بطانةُ الرجل . لاتصاله به اتصال الاذن . فكأنه يسمع بواسطته .

الاذن : العلم . و— الارادة . و— الاجازة . وكل ذلك يتم بالسماع او الاسماع ، عن طريق الاذن . الأَذَنة : خوصة التام الشبيهة بالاذن . و— الشهوة ، اي الميل الى رائحة الطعام، ميلَ الاذن الى السمع . و— واحدة الاَذَن ، وهو التبن . و— صغار الابل والغنم ، على التشبيه بخوصة التام ، وهي ذاتها تجانس الاذن .

الاذين : المؤذن . و— الكفيل ، والزعيم ، والحاجب . وكلها بمعنى السمع والاصغاء .

نظائر الاذن في الالسن السامية ، في السريانية ednâ .وفي الارمية udrâ . وفي العبرية ozèn : اذن . عروة. ،ومنه âzan و heezin : نصب اذنيه، اصغى . وفي الحبشية ezen’ اذن. و ma’zen: طرف ، حافة ، قمة ، وفي الاكدية : uznu: اذن. عروة .

على انه يحتمل ، بناء على اصول الاكدية والعبرية والحبشية ، ان اشتقاق « اذن» الثلاثي من فكرة الارتفـــاع والحدة والتسنن. وهذه هي هيئة الاذن، وخاصة في الحيوانات . بيد انها لا تناقض الفكرة المتضمنة في الرساس الثنائية في العربية اي « دَنْ ، ودندن » الدالة على اصوات الذباب . لان من طبع الاصوات ان تكون ، عادة ، عالية وحادة .

ت : ارض

هذه المادة سامية ، لوجودها في كل الساميّات ، ما خلا الحبشية الوارد فيها كلمة meder الناظرة الى لفظة « مَدَر » العربية . اي التراب المتلبد ، او الطين اليابس . ففي الاكدية نلفي ersitu وفي العبرية érès وفي الفنيقية والمؤابية aras وفي الاغاريتية aras’ وفي الارمية « أرَعْ » وفي السريانية « أرعا » وفي الارمية القديمة « أرْقا » عوض « ارعا » . وفي السبئية « ارض » . وفي عامة هذه الالسن، ليس من جذر فعلي يصدر عنه اسم الارض .

هـذا وا رف الاخير من اسم « ارض » يختلف حسب

اختلاف اللغات. ففي السبئية والعربية 'يلفظ « ضاداً » . وفي الارمية والسريانية ، « عيناً » . وفي بقية الساميات ، « صاداً » وهذا التباين في لفظ الحرف المذكور سابق ظهوره في الرساس الثنائية المشتقة منها الثلاثيات ، بزيادة الهمزة تتويجاً . فالرس الثنائي الخفيف هو في العربية « رض » . وفي الارمية والسريانية « رع » وفي البقية « رص » وجميعها تطلق على الدق ، والجرش والفت . مما هو خاص بالتراب المركبة منه الارض . وبالدق يتلبد ، فيقوى فيصبح صلباً ، يابساً ، مسطحاً ، ثقيلا . ومن كلمة الارض ، اسم العين ، قد نجم في العربية الفعل المشتق ارتجالا ، والمختلف المعاني ، حسب اوزانه ومزايدته وهي : أرَضَ ، أرِضَ ، أرُضَ ، 'أوض ، ثم أرّض ، آرَض ، تأرض ، استأرض .

فالوزن الثلاثي ناشىء من الثنائي « رَض » المراد به الدق ، والفت ، ومن مكرّره « رَضرَض » و« ترضرض » تكسر تحرك ، ارتج . ومن متوسعه « راض » : ذال ، واضع ، سفّل ومزيده « روّض » جعله روضة . والروضة من البقل والعشب مستنقع الماء . قيل لها ذلك ، لاستراضة الماء فيها . واستراض المكان : اتسع وكثرت رياضه ، فطابت النفس فيه . والروض : ارض مخضرة بانواع النبات ، وبعد هذا من السهل تعليل معاني الثلاثي : الارض : التراب ، الثرى ، اليابسة ، البسيطة ، الغبراء ، البرّ ، الكرة الارضية ، القارة ، القطر ، البلد . وكل شيء يسفل ويقابل السماء . و- ما استقرت عليه قدماك . و- الزكام و- الرعدة ، و- الدوار .

كل هذه الفحاوي من الهين ادراكها ، وادراك فروقها ، حين الوقوف على اللحمة المعنوية بين الثنائي « رَض »ومتفرعاته « رَضَ ، وراض ، وروّض » . كالمظاهر مما سبق ، ومما يلحق من المشتقات . يقال « ارض النعل » : ما اصاب الارض منها . و« فرس بعيد ما بين ارضه وسمائه » اذا كان نهداً ، اي جسيماً ، لحيماً ، مشرفاً . و« ارض الانسان » : ركبتاه وما يليها . و« من اطاعني كنت له ارضاً » اي متواضعاً . ومن الامثال « آمن من الارض . واجمع واشد واذل من الارض » و« ابن ارض » غريب لا يعرف له اب ولا ام .

أرِضت الخشبةُ وأرَضت أرضاً : وقعت فيها الارَضة فاكلتها . والارضة : 'دوَيبة تأكل الخشب . وهي آفة كل نبات . واشتقاقها من « رض » الدال على الجرش والقرض .

وأرَضت الارضُ : زكت ونما نباتها . و- القرحة : مجلت وفسدت بالمدة . و- الرجل : كان متواضعاً اهلا للخير ، و- الرجلُ : اقام على الاراض . وهو بساط ضخم من صوف او وبر . وسمي بذلك ، لانه يلي الارض . أرُض الرجلُ : اصابه الزكام . وهو رشح فضلات رطبة ومائية من الانف . وآرضه اللهُ : ازكمه . و- الطبيب : داواه . ومعنى « آرضه » هنا للسلب اي الابراء من الارض وهو الزكام ، الحاوي المادة الرطبة.

أرّض الكلامَ : شذّبه وهذبه وهيّاه . و- الصومَ : نواه وتهيأ له . و- الشيء : اصلحه . ولبّث . و- ثقل . و- فلان رعى الكلأ .

تأرض النبت : تمكن من ان يجز . و- فلان بالمكان : ثبت فيه فلم يبرح . و- تثاقل الى الارض استأرض : اقام فلبث في المكان و- السحاب امتد و- الفسيلُ : صار له عرق في الارض . الاريض : الزكي . و« جدي اريض » : سمين . المأروض : المزكوم . و- الخشب الذي اكلته الارضة . والمؤرِض : الذي يرعى كلأ الارض .

الظاهر بجلاء من كل هذه الفحاوي المتضمنة في مادة «ارض» انها ناجمة بتساوق ، اولا : من الثنائي الخفيف «رض» ومكرره « رضرض » . ثم بنوع خاص من المتوسع « راض » ومزيده « روّض » ومتفرعاته . وفي كل هذه سائدة فكرة « الرض » الدالة على طبيعة الارض . ثم فكرة « الرطوبة والمائية » ثم فكرة « الخضرة والعشب » ثم فكرة الفزازة والخصب » ثم فكرة الرفاه . ومن ثم فكرة الاقامة ، والتهيئة ، والاصلاح .

ث : انف

المعنى الاولي الحقيقي لهذه المادة الثلاثية نجده في العبرية في فعل ânaf ومعناه : تنفس . ومنه جاء اسم « الانف » وهو آلة او عضو « الشم والتنفس » بد للتنفس يقتضي هواء . وهذا لا يوجد كلمة تدل عليه الا في العربية وحدها ، وهي لفظة « نَفنَف » الثنائي المكرر ، المراد به : « الهواء والمهوى » وقد زيدت الهمزة تتويجاً على هذا الثنائي الخفيف « نَف » فاصبح « أنف » ومقابل « الانف » العربية . وفي العبرية ap وفي الاكدية appu وفي الحبشية onef وفي غالب هذه اللغات تدل كلمة «أنف» على الوجه ايضاً ، لانه هو الظاهر منه لاول وهلة . وفي العربية يصاغ من « الانف » الفعل « أَنف » ارتجالا . واذ كان الانف اول ما يرى في الوجه ، دلت اللفظة على معاني الابتداء ، مجازاً . واذ كان

الانف ينتفخ عند الغضب ، جاء الفعل بمدلول اغتاظ . ولما كان الانسان يشمخ بانفه ، ورد « أنِف » دالا على الكره والنفور ، والاشمئزاز والاحتقار . وهذه فحاويه ، حسب مختلف احواله .

أَنَفَه ـِ و ـُ أنفاً : ضرب انفه . و ــ الرجلُ الماء : بلغ انفه . وأنِف ـَ أَنفاً : اشتكى انفه . فهو انف . و ــ الابلُ : وقع الذباب على انوفها (وكلها ارتجالية من كلمة الانف) أَنفَ فلانٌ : وطأ كلأً لم يرعَ . وأنِف من الشيء : استنكف وتنزه عنه ، و ــ من قوله اشد الأَنف : كرهه . و ــ أَنفاً وأَنَفَة : سار في اول الليل (مجاز) .

آَنفه : جعله يشتكي انفه وأنّف الشيء : حدده و ــ فلاناً حمله على الأنَفة . و ــ الراعي : طلب أُنف الكلأ ، اي الذي لم يرعَ .

تأنف الطعامُ : لم يؤكل منه شيء . وتأنف الاخوانَ : طلبهم آنفين لم يعاشروا احداً .

إئتنف الشيء واستأنفه : اخذ فيه وابتدأه .

الآنف : المأنوف الذي يشتكي انفه . يقال « آنِفاً وأُنفاً » اى في اول وقت . « آنِفة الصبا » : ميعته واوليته . « الأنافي » العظيم الأنف (ارتجالي)

الأنف ، في الانسان ، وغيره من الحيوان ، يُطلق على مجموع المنخرين والحاجز والقصبة . الأنف : سيل القوم . و ــ ثنية الجبل . و ــ من كل شيء اوله او اشده ، يقال « أنف الشد : اول العدو . وأنف البرد : اوله واشده . و ــ من المطر : اول ما انبت و ــ من الارض : ما استقبل الشمس من الجلد و ــ من الرغيف : الكسرة و ــ من الجبل : النادر والشاخص منه و ــ من الناب : طرفه . و ــ من اللحية : جانبها و « رجل حمي الانف » يكره ان يضام .

الأنف : كلأ بحاله ، لم يرعه احد . و ــ المشية الحسنة . و ــ الخمر لم يستخرج شيء قبلها من الدن . يقال للمتغيظ : ورم انفه . لأن المتغيظ يرم انفه ويحمر .

الانوف : الكاره اتيان الدنايا . الانيف : اللين من الحديد . مثل الانيث . المئناف : السائر في اول النهار . المؤتنَف والمتأنِف من الاماكن : الذي لم يؤكلَ منه شيء . المؤتنِف : الذي هو في مقتبل الشباب .

المستأنف من الامر : هو الذي لم يُسبَق اليه .

القدس الاب مرمرجي الدومنكي

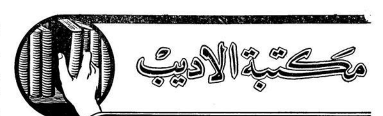
الليل الطويل

الى الجموع المشتتة من اللاجئين ابث هذه القطرة من ذوبات روحي ، من ربوع السودان ، من اعماقه أبعثها

•

ما زلنا نخبو وراء الضوء الكليل
متخبطين على العواصف لا دليل
غير ، مصباحنا الساجي الضئيل
.. نعدو ولا ندري .. الى أين الرحيل !!
والصبية تسائلنا في طهر يسيل
أيطول المسير . ؟ اين المقيل .. ؟
عريي .. وجوعي .. معازف من الليل الطويل
تملأ الفراغ .. من الصراخ والعويل
.. ما زلنا نسير .. الدرب طويل
هذي ليالينا ... نكفن الارواح !
ونجري الى تلك القبور .. والصبية تسائلنا ..
أيطول المسير ؟ أين المقيل ؟ ..
ونحن نسير ! .. الى الغد البعيد
الى « التل » المشوه بالدماء .. الذهول
غدا .. سوف نرويه دماء
وسوف يرقص « التل » الكئيب
معازف من الثورة الحمقاء
من اعاصير الكوخ المدمرة والهبوب
غدا .. وفي محشر الرعب الحائل والذهول
سوف يمرح « التل » القديم
فوق الكتل المكدسة في الدروب !
ويؤوب .. رجع العقول !
ويخلد « التل » الى الذهول ... ويطل الغد
ويحدق في بقايا المعركة
كانت هناك .. في الليل الغرير المتروي ..
شيخوخة الدرب تبين !
من اضحكه ؟ من عذبه ؟ من اسغبه ؟
انه « الليل » القديم
والصبية تسائلنا : هل آن المقيل ؟
ايها الصبية السكون ..
.. تلك معالم « يافا » من بعيد ..
بعد ان شاخ المسير ..
هناك ، ايها الصبية .. نهاية المسير ...

ام درمان ابراهيم خير الشاطوي



١ ـ كيف عالجنا مشكلة البغاء

كتاب ازرق لجمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق — ٦٤ صفحة شركة التجارة والطباعة المحدودة بغداد

جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية التي يرأسها فضيلة الاستاذ جلال الحنفي تبدي نشاطاً « محسوساً » في حقل الخدمات الاجتماعية فبالامس القريب عالجت قضايا المشردين وبعدها اشتغلت في مشروع الزكاة فتمكنت من توزيع مئات الدنانير على الفقراء والمساكين بواسطة المتمولين من اولي اليسار واشتركت في مؤتمر حلقات الدراسات الاجتماعية الذي عقد في دمشق وكان خاتمة المطاف معالجتها لمشكلة البغاء فخرجت علينا بكتابها هذا بعد دراسة استقصاء عظيمين وهو نتيجة مجهوداتها المضنية في هذا السبيل .

لقد احدث هذا الكتاب ثورة كبرى لدى الرأي العام العراقي وكتبت عنه الصحف البغدادية المقالات المسهبة معلقة عليه شارحة للناس مشكلة البغايا طالبة من الحكومة وضع حد لهذه المأساة البشرية المتمثلة على مسرح الحياة في القرن العشرين ، الحقيقة انه الرق بعينه ولكنه بشكل آخر ، بشكل فظيع تشمئز منه النفوس ، وتتقزز منه الابدان ، وترتعد لهوله الفرائص .

ابتدأت الجمعية كتابها الازرق هذا بنماذج من العرائض المقدمة الى اولي الامر من قبل الزانيات يطلبن فيها الانتساب الى المبغى العام ، يطلبن فيها السقوط الى مهاوي الرذيلة والفساد يطلبن فيها بيع انفسهم في سوق النخاسة الذي لم يشهد له التاريخ مثيلا في عصوره المظلمة . والى القارىء ما جاء في عريضة احدى البغايا والمقدمة الى متصرف لواء بغداد حيث تقول (... ولكوني مقطوعة وليس من يعيلني ولم يكن لي زوج ولاجل طلب العيش قدمت هذه العريضة لاجل الدخول في المبغى العام) .

وهذه افادة احدى طالبات الدخول في المبغى العام امام المحقق العدلي .. (.. حتى بقينا لا نجد سد رمقنا وعليه جئت مسترحمة امركم باحالة عريضتي الى الشرطة حول ادخالي الى المبغى بعد موافقة سعادتكم وبذلك تنقذوني من التشرد والشقاء ...) ان هذه الزانية تطلب الدخول في المبغى لانقاذها من التشرد والشقاء ولم تعلم ان الشقاء كامن في المبغى حيث ينتظرها البؤس القاتل والحرمان المهين ، والفقر المدقع ، والمرض الفتاك .

وهذه صورة اخرى لامرأة فقيرة تتعاطى الفحش السري فلنستمع اليها ما تقول في عريضتها : (اني امرأة فقيرة واتعاطى الفحش السري لعدم وجود من يقوم بواجب معيشتي لذلك استرحم الموافقة على دخولي الى المبغى العام) .

ان هذه النماذج والصور من العرائض المقدمة للحكومة لفرض ممارسة البغاء الرسمي وموافقة الحكومة عليه بما تحرمه الاديان وتأباه المروءات ، وتحرمه الشرائع ، وتلفظه القوانين .

ان هذه الصور المؤلمة التي تأباها الفضيلة وتزدريها الانسانية تولد انطباعات سيئة في النفوس .

لقد سعت الجمعية سعياً حثيثاً كما جاء في الصفحة السابعة من كتابها الازرق في وضع تشريع لالغاء البغاء وقد وجهت رسالة الى وزارة الشؤون الاجتماعية في هذا الشأن وقد اجابت الوزارة بقبولها بوضع لائحة لهذا الغرض وانها لا تزال قيد الدرس وقد صادف ان جاء العراق في هذه الاونة بعض رجال الامم المتحدة لدراسة الاوضاع الصحية والاجتماعية في العراق بغية وضع التدابير لمساعدة العراق على تحسين هذه الاحوال وكان من بين الذين حضروا البروفيسور ترنر من مؤسسة الصحة العالمية فاتصلت به الجمعية وبحثت معه موضوع الدعاية الصحية ولا سيما امر الغاء البغاء وقد ايد وجهة نظر الجمعية في امر الغاء البغاء واصلاح البغايا وتمكينهم من الرجوع الى المجتمع ليكسبن معيشتهن بالطرق الشريفة ، وقد عبر البروفيسور ترنر عن تقديره لجهود الجمعية وعلق عليها آمالا كبيرة قائلا ! ان الجمعيات الاهلية تستطيع ان تفعل اكثر مما تستطيع ان تفعله الحكومة في بعض الاحيان .

وقد دعت الجمعية من الخبراء الاجانب الدكتور مولتزر

والبروفيسور كريجلي والدكتور ليسلي بانكس والدكتور لورنزوغيرهم وتحدث معهم لدراسة هذا الموضوع في جو ودي هادىء . وقد ابدوا كلهم وجهة نظر الجمعية في الغاء البغاء .
وفي صحيفة ٣٤ تصف الجمعية اللجنة المؤلفة من رئيس الجمعية ومدير الادارة وعضو آخر للذهاب الى المبغى حيث تقول :
وكان اول عمل قمنا به اننا تجولنا في طرقات المبغى الضيقة المتعفنة ونحن نقلب النظر في تلك الوجوه التي يغمرها الشحوب وتطغى عليها التعاسة وقد قمنا باستجواب فريق من اولئك التعسات المنكودات الحظ وكانت الاسئلة التي القيناهـا على ذلك العدد من المستجوبات متنوعة ومختلفة وقد كنا متحفظين عند القاء الاسئلة من تعريض احد الى الانزعاج والاهانة ولم نستجوب من السمسيرات الآثمات غير قليل . وخلاصة ما تجمع لنا من المعلومات فيما يتعلق بأسباب هوى هؤلاء التعسات الى هذا المصير الشيء الذي تنحط فيه كرامة الفرد الى درك فظيع للغاية
١ ــ الزواج بالاكراه ٢ ــ اليتم مع الاضطرار المعاشي .
٣ ــ الترمــل بسبب الوفاة او الطــلاق (غير الشرعي)
٤ ــ وجود طبقة من المومسات الصغيرات نشأن في نفس المبغى
٥ ــ الزلة الاولى بدافع الحب غير الشريف او الاكراه او الاغراء
وتختم الجمعية ملاحظاتها في هذا الكتاب بقولها ... ان هذه الجمعية لا تجد بدأ من القول بان كل حكومة عراقية وكل جمعية عراقية بل كل فرد عراقي يتحمل مسؤولية فشل هذه الجمعية في تحقيق الغرض الذي هدفت اليه وهو انقاذ هذا البلد العربي من العار وهــذا المجتمع الانساني من الاسترقاق والاستذلال ، لاننا رغم نشرنا البحوث المتواصلة عن جهودنا في الصحف لم نجد مع الاسف من يستجيب لدعوانا وكأن الاذان قد صمت والعيون قد عميت وان رجال الدين والاجتماعيين والمصلحين لم يجدوا في البغاء ما يتطلب منهم نفس الاهتمام الذي يبدونه في توافه الامور . وخلاصة القول ان هذه الجمعية بكتابها هذا الذي فتحت به صفحات مطوية وعالجت مشكلة خطيرة جديرة بالعلاج لتستأهل كل ثناء وتستحق كل تقدير .

٢ ــ بنت السراج او رحلة الى اسبانيا

للدكتور صفاء خلوصي ــ ١٠٤ صفحات ــ دار منشورات البصري
مطبعة المعرف ــ بغداد

يقول المؤلف في مقدمة كتابه هذا : لقد نشرت هذه القصة فصولا بالانكليزية في مجلة الاسلامك ريفيو عام ١٩٤٩ فأثارت اهتمام القراء في مختلف انحاء العالم حتى انهالت على الرسائل من بريطانيا وامريكا والباكستان والهند يتساءل فيها اصحابها عن حقيقة بنت السراج . وكتاب بنت السراج للدكتور صفاء خلوصي هو صورة من التاريخ العربي الزاهر في اسبانيا .

لقد يمر كثير من الناس بمعارض التحف او الصور فلا يلقون اليها بالاً ولا تثير في انفسهم شغفاً بانعام النظر اليها وادامة الفكر فيها ولكن الدكتور صفاء خلوصي مولع بمعرض العروبة فهو دائماً كثير الجولان فيه وهو دائماً مطيل الوقوف في كل زاوية من زواياه او ركن من اركانه وهو دائماً كلف التطلع في قاعات هذا المعرض لعلها تزيده علماً اذا ما زادها نظراً . ففي صحيفة ١٣ يقول المؤلف :

... وفي القصر الملكي هذا رأيت الصورة الزيتية المشهورة والتي تعرف بـ «آخر حسرة العربي» وهي تمثل ابا عبدالله الصغير يلقي نظرة اخيرة دامعة على غرناطة وامه تؤنبه وتقول :

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً ‏ ‏ لم تحافظ عليه مثل الرجال

فكرت في هذه الصورة طويلا وفكرت في امر ابي عبدالله وكيف انــه كان يهرب من ابيه « ابي الحسن » ملتجئاً الى ملكي قشتاله فيفضي اليهما باسرار ابيه العسكرية لينالا منه ومن دولته مقتلا لمجرد ان اباه هجر والدته وتزوج من امرأة اخرى اسمها ثريا. لقد كان جمال ثريا كافياً لان يطفىء مجد العرب في اسبانيا الى الابد فأية سخرية من القــدر هذه ... واي تناقض عجيب ؟...

وكتاب بنت السراج هو في ذاته معرض من معــارض التأريخ العربي اذ في عرضه لتلك الصور الخالدة يغري العقول بالتفكير . فالمؤلف هنـــا يأخذك في رفق ولطف وينتقل بك ساعة في صالة السفراء وساعة في صحن الاسود واخرى في بهو السباع وهو يصور لك بقلمه كما يصور المصور الماهر بريشته مجد العرب وعزهم ومجالس انسهم ثم يبكي على ذلك المجــد المضاع والفردوس المفقود .

وهكذا نرى ان الدكتور خلوصي اخو سفر جواب ارض فهو تارة بين الشرق وتارة بين الغرب وهو حيناً في البر وحيناً في البحر وهو يتخذ من التأريخ العربي الاسلامي الذي ثقفه وتخصص فيه مطية لهذه الرحلات التأريخية الممتعة التي لم يكتف بما قرأ عنها من كتب ومخطوطات واسفار كثار بل جشم نفسه

عناء السفر فأخذ يضع في كل سفرة كتاباً وكان آخرها « بنت السراج او رحلة الى اسبانيا » فهو يعني بالرحلة كما يعنى بهـــا الرحالون من العرب فهو رحالة امين دقيق الملاحظة وهو لا يرى في الرحلات سبلا الى التسلية ولكنه مؤمن بانها سبيل الى المعرفة وسبيل الى التحبب الى الارض التي وطئتها اقدام العرب في سالف عزم المندثر ومجدهم التليد .

بغداد **عبد الخالق عبد الرحمن**

رائد الشعر الحديث

لمحمد عبد المنعم خفاجي – ٣١٢ صفحة – المطبعة المنيرية بالقاهرة

شر ما عتبنا على شباب الادباء تقاعسهم عن واجب الوفاء لزعيم من زعمائهم، ورائد حر مقدام من رواد نهضاتهم الادبية والعلمية والفنية . وطالما استثرناهم للدفاع عما يلقاه علم من أعلام الفكر العالمي في العصر الحديث من عنت وضير في سبيل الحريه الفكرية. وطالما حذرنا وأنذرنا بسوء المصير الذي يلقاه كل أديب حر ، مـا لم ينهضوا للدفاع عن حياة الفكر وحرية الادب ، والنضال عن حوزة الفن وحماية مثله واهدافه.

ولقد أشفقنا ان تضيع همساتنا الادبية الخافتة في ضجيج السياسة المادية الجارفة وان يكون حظها من اهتمام الادباء حظها من اهمـال المسئولين المصريين والعرب مـن مختلف العهود . ولكن شاء الله ان ينهض بالعبء شاب من خيرة شباب الادباء الذين يعتز بهم الانتاج العربي الحديث ، كما يباهي بهم الوفاء وعرفان الجميل ...

.. شاء الله ان يقوم الاستاذ خفاجي بأداء دين الادباء المدينين بثقافتهم وتوجيههم ومذاهبهم الادبية لأبي شادي، وان يكفر عن جحودهم وتنكرهم ، فيخرج للقاريء العربي هـذه الدراسة القيمة عن ابي شادي بعنوان « رائد الشعر الحديث ».

وليس ابو شادي رأس الشعراء المجددين من الشعر العربي فحسب ، ولكنه كذلك قائد الرعيل المجدد من الشباب، دفعه دفعة قوية ، ورفع له المشاعل وهاجـــة على حفافي الطريق الشائك الوعر ، فأضاء له الهدف الحق الذي شرعـــه للادب والفكر والحياة .

وابو شادي من اعلام الانسانية الذين اعتز بصداقتهم، وهو يشرفني في الفينـات المتقاربة ، فيكتب الي بخطرات نفسه وخلجات فكره ويفضي الي بما يصادفه من عنت الحياة وجحود الناس ، ويدنيني من نفسه ، فيسر الي بما يسوء وما يسر، حتى لاحسبني – وانا بعيد بعيـد من مكانه ومكانته ، أضطرب في حياتي المتواضعة على ضفاف النيل في مغـاني القاهرة – قريبـاً قريباً منه وهو يكابد أعباء رسالته العربيةالانسانية السامية على نطاقها العالمي الممتد من نيويورك.. احسبني قريباً منه، أحس احساسه ، واشاركه وجدانه ، حتى لاكاد استمع الى نبضات أنفاسه ، وأقبس من جمرات قلبه الحر الكريم .

من كل هذا لم اكن اظنني في حاجة الى مزيد من التعرف على ابي شادي لكنني ما تصفحت هذه الدراسة الموفقـة التي دبجها قلم الاستاذ خفاجي ، حتى وجدتني اسبح في عـالم ابي شادي ، اجتلي ملامحه في المهد صبياً ، وأصاحب نشأته غلامـاً ذكياً ثم اشاركه حياته شاباً ، واقاسمه جهاده كهلا ، واستظل بعبقريته شيخاً .

فلقد ألمت هذهالدراسة القيمة بجوانب صورته الماماً لم تسبق اليه من قبل ، واتخذت لشاعرنا مكانته بين عباقرة الفكر والفن في العالم ، ونبهت نوام الادباء والدارسين الى أن عقوقهم للقادة لا يحمل في طياته ابسط من معنى الهزيمة الساحقـة التي لا تبقي منهم ولا تذر ، والتي كان من طلائعها ذهـاب ريحهم ، وكان من نذرها ما لحق الميدان الادبي من فساد وفوضى وتدمير ، وجر عليه ما جر من اختفاء صحفه ، وتقاعد رجاله ، واقفـار الحياة من المثـل والمبادىء الانسانية التي يحدوهـا الادب ولا شيء غير الأدب .

وهـــذا الكتاب معرض جميـل لآراء النقـاد والأدباء والأصدقاء في ابي شادي الشاعر والانسان ، وتعريف جامع بهذا الشاعر الموهوب ، والناقد العـــالم ، والطبيب البارع ، والاجتماعي الايثاري، ثم هو مع كل هذا لم يزد على ان يكون اطاراً لالوان العظمة الانسانية مضيئـــة وضاحة في هـذا الرائد العظيم .

وقد مهد المؤلف بعرض للبيئـة التي تفاعلت معها نفس ابي شادي منذ تفتحت عيناه على نور الحياة بما فيها ومن فيها من ناس وأحداث . وأول هؤلاء الناس أب سياسي محام شاعر ، منغمس في لجج السياسة ، متضلع في المحاماة بارع الشعر ، وأم شاعرة رقيقة مبدعة ، وخال أديب زعيم شاعر ممتاز .. ومنذا الذي سمع بالنهضة السياسية المصرية ولم يسمع باسم « محمد بك

ابو شادي » زميل سعد زغلول في كفاحه الوطني ؟ ومنذا الذي عاصر النهضة الفنية الادبية ولم يعرف «مصطفى نجيب» صديق مصطفى كامل ، ووالد السيدين سليمان نجيب وحسني نجيب ، وخال شاعرنا الكبير .

والى جانب ذلك المؤثرات السياسية والادبية والاجتماعية ، ثم العوامل الثقافية الادبية والعلمية والطبية التي أثرت أثرها في حياة الشاعر . ثم هجراته ورحلاته ونشاطه في البيئات التي يحل فيها ، وقوة شخصيته ، وتأثيرها على من حوله من الناس ، ونزعاته الاجتماعية والتعاونية وعقيدته الدينية ، واساتذته في في العلم والادب والسياسة والاجتماع .

ويخلص الكتاب الى الحديث عن أبي شادي الشاعر الذي انعكست هذه البيئة وتلك العوامل على نفسه الحساسة الموهوبة فجعلت منه شاعراً رائداً ، وكاتباً فذا ، وناقداً ممحصاً ، وعالمة مدققاً ، فيه قوة الابتكار والتجديد والتوجيه من كل صور الحياة ، وفيه النشاط الوثاب ، وفيه القدرة المعجزة ، وفيه الوطنية الواعية ، وفيه التدين الفطري المتعقل . ثم يعرض جوانب شاعرية الشاعر ، ومذهبه في الشعر ، وموقفه من شعراء عصره وشعرهم ، ومكانته منهم ، وتجديده ، ورأي النقاد في مذهبه ، ثم نظرته الى الادب العربي عامة ، وموقفه من النقد الادبي ، ورأيه من الادباء الاقدمين والمحدثين ، واحترامه للمواهب الانسانية الاصيلة أياً كان عصرها وبيئتها ومهما عارضت نزعاته ومعتقداته ..

يزين كل ذلك درر حسان من شدو الشاعر من اطوار حياته المختلفة وفي المناسبات المتفاوتة وفي الاحداث الهينات والجسام ، ما سر منها وما ساء ، وخاصة التطورات السياسية والاجتماعية والدفعات الحرة التي يضطرب بها العالم العربي في هذه الآونة المليئة بالأحداث العظام . كما يشهد له مقتبسات من آرائه في شؤون الادب خاصة والحياة في عمومها ، والى ضروب من نشاطه العلمي والطبي والزراعي والصناعي والسياسي .

وينتهي الكتاب بسجل وافٍ لكثير من الاعلام الذين اتصلوا باسباب ابي شادي او انتفعوا به او تتلمذوا له .. من كل اقطار العالم من الشرق والغرب .

وقد انتفع المؤلف الى حد بعيد بالمصادر الجمة التي توفرت لبحثه ، واول هذه المراجع واصدقها ابوشادي نفسه وما تحدث به عن حياته في المناسبات المختلفة ولو انه كان في الامكان الانتفاع بهذا المصدر الى حد أعمق من هذا . وثانيها اصدقاء الشاعر الذين عاشروه والذين اعترفوا بفضله وهم كثيرون ، واكثر منهم من صادقوه متأثرين معجبين ، وتتلمذوا له بعد هجرته الاخيرة الى امريكا دون ان يلقوه ، وان لقيهم منه في كل آن ومكان اصداء من روحه الحانية الآسرة وآثاره الرائدة الموجهة .

وقد سجل المؤلف كثيراً من آراء هؤلاء الاصدقاء والمعجبين والحواريين ، وان لم يحفل بآراء الخصوم التي كان يسر أبا شادي ان تسجل مع آراء الاصدقاء ، لانه يعتز بكلا الرأيين ويفتح لهما صدره الرحب كما كان يفعل في مجلته « أبولو » اذ ان ديدنه احترام آراء الغير ولو على حساب آرائه وأفكاره .

وقد قدم لهذا الكتاب الشاعر الناقد البصير الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي الحواري الاول والنصير الوفي للدكتور ابي شادي ، ذلك الناقد الذي اخرج لنا كتابه القيم « الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث » ثم صمت صمتاً طويلاً متواصلا فمثل بصمته هذا نقص القادرين على التمام .

بهذا البحث الجليل وضع الاستاذ خفاجي نفسه في عداد مؤرخي النهضة الأدبية الحديثة في العالم العربي ، فقد احتمل عبء هذا العمل المجهد في صبر ومثابرة حتى ظفر بما رسم لنفسه من اهداف . وعلى قدر ما قرأت للاستاذ خفاجي لم اجده موفقاً واضحاً متدفقاً بقدر ما عرفته في هذا الكتاب ، فهو عمل في الحق جليل ، خليق بنشاط المؤلف ، وجدير بجلال موضوعه وروعة اسلوبه ، وتسلسل افكاره ، ووضوح حقائقه . وهو حقيق لكل هذا بتقدير الادباء والنقاد والمؤرخين للنهضة العربية في كل مكان . ولكننا – مع ذلك – لا نكرم ابا شادي بمثل هذا الكتاب ، فما زال في أعناقنا – نحن شباب الادباء – دين واجب الوفاء بعد هذا التسويف المخجل . وفضل الاستاذ خفاجي انه اقتحم الطريق وفتح الباب للحديث في عبقرية ابي شادي وآثار ابي شادي الانسانية الخالدة ، وما زال الميدان فسيحاً لدارس حياته وناشري آثاره وحاملي لوائه والسائرين بهدى مذهبه في الناس .

وما زلنا على امل ان تلتفت الهيئات العلمية والادبية ودور النشر في العالم العربي لتسجيل هذه الآثار العبقرية النافعة واذاعتها في اقطار العروبة ، فهل يطول بنا الانتظار ؟

القاهرة — رضوان ابراهيم



القوى المائية في المناطق القاحلة

L'Hydrologie de la Zone Aride

منشورات اليونسكو ـ باللغة الفرنسية ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير مع ٨ خرائط على حدة ـ مطابع شركة فرمان ديدو بباريس

نشرت اليونسكو الطبعة الاولى من الدراسات والبحوث المتعلقة بالقوى المائية في المناطق القاحلة في العالم، عملا على اذاعتها بين المسئولين والخبراء والمهندسين المشتغلين بهذه البحوث

ويتضمن هذا المؤلف تقارير فنية مسهبة وبيانات دقيقة عن المطبوعات الخاصة بالبحوث الهيدرولوجية وعلى الاخص ما يتعلق منها بالمياه الجوفية، كما يضم خرائط بيانية للمناطق القاحلة وشبه القاحلة، وتوزيعها على وجه الارض، والعوامل الجغرافية التي تخضع لها.

ويطالع القارىء ضمن هذا المجلد الضخم بحوثاً طليفية للاستاذ ي. سميكة، مدير الاعمال الهيدرولوجية بوزارة الاشغال العمومية في مصر، وهو يشير في هذه البحوث الى اهمية المياه الجوفية في المناطق القاحلة. وتتعلق بحوثه بمصر والسودان على الاخص، ثم باريتريا والحبشة والصومال الايطالي.

كما يجد القارىء دراسات خاصة عن مناطق الجزائر ومراكش وتونس وليبيا وسوريا ولبنان والعراق والاردن وتركيا، وغيرها من مناطق الشرق الاوسط. هذا، ولا يغفل المؤلف دراسة أي منطقة قاحلة على سطح الارض، وبيان طبيعتها وامكانياتها الهيدرولوجية.

الصحافة والراديو والسينما للاطفال

La Presse, Le Film, et La Radio

منشورات اليونسكو ـ باللغة الفرنسية ـ ٢٩٦ صفحة ـ مطبعة لوموال وباسكالي بباريس

اصدرت اليونسكو اخيراً كتاباً خاصاً بالصحف والافلام والاذاعة الخاصة بجمهور الاطفال، وهذا الكتاب حلقة جديدة من سلسلة المطبوعات التي تنشرها اليونسكو بعنوان «الصحافة والسينما والراديو في عالم اليوم». وقد كتب هذه الدراسة الجديدة الاستاذ فيليب بوشاره الخبير في شئون الصحافة والاذاعة، وعلى الاخص ما يتعلق منها بمشاكل النشء. ويتناول مؤلفه الموضوعات الآتية: صحف الاطفال (دون ان يغفل اثر هذه الصحف في نفوس الكبار)، السينما للاطفال واهميتها للشباب المنحرف، الراديو والتليفزيون للاطفال. كما يضم الكتاب فصلا عن التشريعات الخاصة بهذه الموضوعات وفصلا آخر عن الاجراءات التي يتخذها في هذا السبيل كثير من المنظمات الخاصة. كما الحق الكتاب ببيان احصائي للتوصيات الدولية المتعلقة بالصحافة والراديو والسينما للاطفال. ويرى المؤلف في ظهور «جمهور» من الاطفال ظاهرة جديدة بحيث لا يستطيع المرء حالياً ان يحدد بالدقة طبيعة هذا «الجمهور» ومجال اهتمامه وانها لمهمة معاهد النشء واقسام علم النفس والتربية في الجامعات بل والهيئات الرسمية المسئولة ان تعكف على دراسة العوامل المختلفة التي تفسر سلوك الاطفال. اما الاستاذ بوشارد مؤلف هذا الكتاب فيقول: «يجب ان نقرر ضعف المستوى العقلي الذي تصدر به حالياً معظم الصحف والافلام والاذاعة الخاصة بالاطفال، بينما نرى المطبوعات والافلام والاذاعات المعدة للكبار تترك في نفوس النشء اثراً اعمق واخطر. ولیجدر بنا امام هذه المشكلة الدقيقة ان نخبر ما استطعنا الدوافع الدفينة التي تفسر لنا سلوك الاطفال».

ويختم المؤلف دراسته بتحديد واجبات مديري دور الصحف والاذاعة والانتاج السينمائي اذ يتوقف على ادراكهم طبيعة الوسائل التي ترفع من مستوى انتاجهم نوع الاثر الذي يتركه هذا الانتاج في عقول النشء. ولا تعتمد هذه المشكلة على التوجيه التربوي والثقافي وحده، بل على اجراءات السلطات المسئولة ايضاً.

فكرة العنصر

Le Concept de Race

منشورات اليونسكو - باللغة الفرنسية - ١١٦ صفحة
مطابع الفنون باريس

من اشد واغرب الظواهر التي تتميز بها ثورة هذا العصر، هذا الخلط العنيد بين العنصر والثقافة مما أدى الى خلق بيئة خصبة لمشكلة العنصرية القائمة . ولما كانت هذه المشكلة معقدة الاطراف في بنائها وتطورها ، كانت اليونسكو بكل امكانياتها الثقافية الدولية اقدر من ينظم حملة علمية تكافح التعصب العنصري ، وتدحض الافكار العلمية الخاطئة التي طالما دعمت هذا الخطر .

وقد اصدرت اليونسكو كتيباً صغيراً يجمع في مائة صفحة آراء تسعة وستين عالماً من علماء الاجناس العالميين . ويحمل هذا الكتيب عنوان (فكرة العنصر) ، وهو بذلك حلقة جديدة من سلسلة تصدرها اليونسكو بعنوان (مشكلة العنصر في العلم الحديث) . وقد صيغت آراء هؤلاء العلماء في صورة تعليقات على احد بيانين لليونسكو عن طبيعة العنصر والاختلافات العنصرية . ويضم الكتيب صيغة البيانين وتعليق العلماء على نحو يمكن عامة القراء من الوقوف على الاسلوب الذي يتخذه التفكير العلمي الحديث من مشكلة العنصر . ويلمس القارىء في هذه الآراء الوضع الذي يمكن ان تتناول عليه النظريات الحديثة في العنصر . ويجد هؤلاء الذين يميزون بين الثقافات لاسباب بيولوجية انهم لم يستندوا الى معرفة يقينية ، وان البداهة ذاتها لم تكن في جانبهم .

الفيلم عن الفن

Le Film sur l'Art

منشورات اليونسكو - باللغة الفرنسية - ٨٠ صفحة - مطبعة فرمو بكوتراي ببلجكا

أصدرت اليونسكو الجزء الثالث من الدليل الدولي الخاص بالافلام الفنية، وقد ظهر الجزءان السابقان في عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٠ وأما دليل هذا العام فيتضمن بياناً بثمانمائة فيلم فني ، مع الاشارة الى موضوعاتها ومخرجيها . وتشمل هذه المجموعة أفلاماً حديثة في معظمها ، وتعرض حالياً في البلدان الرئيسية المنتجة ، ونعني بها المانيا والنمسا ومصر وبلجكا والبرازيل وبلغاريا وكندا والصين والدانيمارك والولايات المتحدة وفرنسا واليونان وهنغاريا والهند وايطاليا ولكسمبورج ومراكش والمكسيك وزيلانده الجديدة وهولانده وايران وبولونيا والمملكة المتحدة والسويد وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا

وقد صدّر البيان بمقدمة للاستاذ فرانسيس بولن ، بعنوان « الفيلم والفنون المنظورة » ، وقد تناول فيها أنواع الافلام ، ونظريات النقد السينمائي الفني ، وميادين استخدام هذا النوع من الافلام . كما يطالع القارىء في هذا الدليل مقالا للاستاذ دنيس فورمان بعنوان « لوحة الفنان الحديث » ، ويتناول مقاله امكانيات الفيلم بالنسبة للفن التجريدي .. ويقول كاتب المقال «ان أمام الفنانين الناشئين ان يختاروا بين «الفيلم الخام» واللوحة اما اذا اختاروا الوسيلة الاولى فهم ولا شك واصلون في القريب الى خلق لغة جديدة في التعبير الفني » .

وقد ذيل الدليل ببيانات نافعة خاصة (بالاتحاد الدولي للافلام الفنية) الذي انشىء في امستردام عام ١٩٤٩ ، واصبح يضم منذ ذلك الحين اكبر مكتبة سينمائية دولية .

تقدم المكتبات العامة في امريكا اللاتينية

Développement des Bibliothèques Publiques en Amérique Latine

منشورات اليونسكو باللغة الفرنسية - ٢٠٨ صفحات - مطبعة سيجنوف بليد هولانده

كلنا يدرك اليوم هذا الدور الجوهري الذي تقوم به المكتبات العامة في مجال التربية والثقافة ، سواء في المدن او في الريف حتى اطرافها النائية . ولا تصبح المكتبة مأوى ثقافياً حقيقياً الا اذا زودت بأمناء مختصين ، ومراجع دقيقة وتسجيلات موسيقية واشرطة سينمائية .

غير ان من الدول من لا يملك الوسائل الكافية لانشاء مكتبات غنية صالحة ، فنجد على الاخص امريكا اللاتينية لا تتمتع الا بعدد محدود من المكتبات العامة . وكان ذلك مما دفع اليونسكو في اكتوبر عام ١٩٥١ الى عقد مؤتمر دولي في سان باولو بالبرازيل لدراسة مشكلة تدريب امناء المكتبات ، ثم دفعها هذا المؤتمر الى أن تنشر اليوم كتيباً يدرس المشاكل العملية التي تعترض « تقدم المكتبات العامة في أمريكا اللاتينية» . ويدرس هذا الكتيب ، وهو الحلقة الخامسة في سلسلة المطبوعات المخصصة لامناء المكتبات والمدرسين ، نظم الدعاية والنشر وسبل التوسع في خدمات المكتبة

جولة الاديب في شهر

روح الانسانية في فن التصوير الانكليزي

بقلم روم لاندو – خاصة بالاديب

☆

قال ناقد فرنسي مشهور : « يمكنك التمتع بمشاهدة اللوحات التي يرسمها الفنانون الانكليز وبوسعك ايضاً ادراك المعاني التي ترمي اليها كما لو انك تقرأ ذلك في كتاب » . وتنطوي هذه العبارة على حقيقة ابعد غوراً مما يبدو لاول وهلة . فان الصلة التي بين الادب الانكليزي واللوحات الانكليزية صلة وثيقة جداً. ويرجع بعض هذا الى ما للانكليزي من استعداد فطري للادب . فالعبقرية التي يمتاز بها الانكليزي في مقدرته على رواية القصص ، لها من القوة ما يحول دون خنقها تماماً عندما يحاول اظهار فنه بالالوان بدلا من اليراعة والمداد . بيد ان الميزة التعبيرية التي تمتاز بها اللوحات الانكليزية ترجع الى اصل اعمق من هذا ايضاً .

فالموضوع الاساسي للادب هو الشخصية الانسانية والحياة البشرية . والقصة التي تقتصر على وصف غابات ،وحقول ، ومبان، وآلات، لا تستولي على انتباه القارىء مدة طويلة من الزمن . فاذا اريد لها ان تكون شيقة جذابة من اولها الى آخرها ، لا بد لها من ان تكون مشتملة على العنصر البشري. ويسود هذا الاهتمام بالشخصية الانسانية فن التصوير الانكليزي. وانا اذ اقول الشخصية الانسانية ، لا اعني فقط المظهر الجثماني للانسان ،بل اقصد كيانه البشري والنفساني.

وقد وجه جهابذة الفنانين الايطاليين ، وخاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، عنايتهم الى جمال الجسم الانساني فلم يملوا من الموضوعات الدينية او الكلاسيكية التي كانوا يستطيعون ادخال الاجسام العارية في تصويرها . ومثل هذا الاهتمام بالجسم البشري لا يوجد في الفن الانكليزي الا نادراً . وفي القرون الوسطى قصر الفنانون الانكليز جهودهم – كغيرهم من الفنانين في معظم البلاد الاوروبية – على الموضوعات الدينية دون سواها . ولكنهم لم يمجدوا العري لا في ذلك العهد ولا بعده .

وفن التصوير ، على خلاف ما كان عليه الحال في الادب وفن العمارة والموسيقى لم ينهض نهضة كاملة في انكلترة الا في القرن السادس عشر . ومنذ ذلك الحين حتى الان والفنانون الانكليز يحصرون اهتمامهم في الشخصية الانسانية وما يرتبط بها. فلا عجب اذن ان يبز المصورون الاخرون زملاءهم الانكليز في كثير من الميادين الاخرى ، ويعجزون عن ادراك الشأو الذي بلغه فن التصوير الانكليزي في القرن الثامن عشر .



مسز روبنسون لغينزبره

وليس اهتمام الفن الانكليزي بالشخصية الانسانية بالظاهرة المنعزلة في الثقافة الانكليزية العامة . بل انها تمثل جانب حب الجمال لذلك الشعور المتأصل في الروح الانسانية والطبيعية البشرية ، ذلك الشعور الذي يؤلف ناحية بارزة من نواحي المدنية الانكليزية بصفة عامة . ونحن نجد لذلك امثلة فيما يشغل بال الانكليز من المعضلات الاجتماعية ، وفي الجمعيات الخيرية الانكليزية التي ترجع الى تاريخ بعيد، وفي طابع الحياة اليومية الانكليزية نفسها . ومن ثم لم يكن بد من ان يكون الفنان الانكليزي اكثر اهتماماً بالفرد منه بالنظريات الخاصة بالجنس البشري . والفرد البشري هو الذى تتجلى فيه اسرار الوجود الخفية اكثر مما تتجلى في الجماهير .

وهذا الاهتمام بالفرد الانساني ليس الا

---

* روم لاندو مؤلف ومثال بولوني ذائع الصيت، قضى سنوات عديدة في بريطانيا وله خبرة واسعة بآدابها وفنونها . ولكتبه باللغة الانكليزية شهرة عظيمة

خلاف عدد كبير من الفنانين الاوروبيين ، لا يعارض المجتمع القائم ، بل يميل الى خدمة ذلك المجتمع . وعظماء رسامي اللوحات الوجهية من الانكليز كرينولدز وغينزبره ولورنس كانوا يتيهون طرباً بتمجيد المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه وتخليده . ولقد كانوا فخورين بخدمة مجتمع كانوا يعتبرونه زعيما واماماً في اوروبا . فقد خصص رينولدز من عنايته وحدبه ودراسته لرسم الدكتور جونسون الزعيم الادبي العظيم في عصره مقدار ما بذل غينزبره في تصوير الملامح البهية لمسز روبنسون – احدى الجميلات الشهيرات في عصره ، ومقدار ما استنفد رومني من جهد في سبيل تخليد ام انكليزية وطفلها .

ويزداد ادراكنا لما في الفن الانكليزي من انسانية وما يمتاز به من الصفات الادبية ، حينما نقارنه بفن الفرنسيين ، الذين هم من اعظم فناني العالم . فمهما يكن الموضوع الذي يختاره الفنان الفرنسي – وليكن شخصية ملكية او مشهداً طبيعياً او فكرة كلاسيكية – فان اهتمامه الرئيسي يدور حول القيم الجمالية البحتة لتصويره . فالتركيب العام للوحته وما تتألف منه ، والتوازن بين الاشكال المختلفة ، والعلاقة بين الالوان المتنوعة ، ونوع التخطيطات هي المسائل التي تسترعي جل اهتمامه ومن الخطأ ان نظن ان الفنان الانكليزي لا يعبأ بالنظريات او المسائل المتصلة بحب الجمال البحت ، فكل مصور ذي شأن لا بد ان يهتم بها . ولكنها في نظر الفنان الانكليزي ليست غاية بحد ذاتها ، وانما هي وسيلة لغاية . والغاية التي ينشدها في فنه هي الحياة التي يشعر بانها اعلى شأناً حتى من افضل النظريات الجمالية . وبما ان الشخصية الانسانية هي اكمل مرآة للحياة ، كانت اسرارها هي التي تستولي على جهوده لابرازها في الصورة التي يصورها . فالحذلقة ، وحركات البطولة والاستبسال وآلة العصور الرومانطيقية وابطالها الذين يتأدبون بأدب المغنين في الروايات الغنائية الكبرى (الاوبرا) لا تجد مكاناً فسيحاً لها في فنه . وانما التفصيلات والحواشي المتصلة بالحياة اليومية ، والاشياء التافهة التي ترافق الانسان في خلال حياته سواء اكان ملكاً او شحاذاً هي التي تثير في الفنان الانكليزي شوقه وعاطفته .

فاسحق اوليفر احد اعاظم رسامي الصور المصغرة في انكلترة (١٥٥٦ – ١٦١٧) ، عندما رسم ايرل دورست النبيل العظيم لم يرسمه في صورة بطل كلاسيكي كما يرجح ان



ساجيا عازفة الكمان لاغسطس جون

•

صدى طبيعياً للفردية القوية التي تتميز بها الحضارة الانكليزية بجذافيرها . فالرجل الانكليزي يكره ان يملي عليه تفكيره او عقيدته املاء ومن ثم نرى على الدوام ، في جميع العصور التاريخية الانكليزية ، ان الفرد يعتبر اسمى من الدولة واسمى من اية هيئة او جماعة .

غير ان الفردية التي تتجلى في الفنان الانكليزي ليست فردية جامحة ، ولا يجوز ان تؤخذ على انها من قبيل التدني او الاستهتار . فالفنان الانكليزي ، كالرجل الانكليزي العادي لا يشعر ان تعبيره عن نفسه بطريقة تروقه يقتضي ان يكون ثائراً او ان يعلن حرباً على النظام السائد . بل الامر هو على عكس ذلك ، فهو يخضع نفسه طائعاً للاصول السائدة في عهده اذ لا يخفى ان « الديمقراطية » في انكلترة ليست نظاماً سياسياً فحسب ، بل هي شرعة في الحياة اصبحت جزءاً من العرف الاخلاقي المعترف به من الجميع . والفنان الانكليزي ، على

تكون الصورة لو كان رسامها من فناني القارة الاوروبية، بل صوره في ثوبه اليومي وخصص من عنايته وحدبه لادق تفصيلات ذلك الثوب ما خصص لوجه النبيل المرسوم . فكل جزء من اجزاء المنظر قد نال حقه من عناية الرسام على التساوي : من السجادة الشرقية الى التطريز البديع على المنضدة الى الهدب الذي فوق الستارة الى الزركشة التي على السراويل والجوارب . وعلى ذكر هذا نذكر اننا نتبين في حب اسحق اوليفر للتفصيلات وذوقه الرفيع واتقانه لاخراج فنه اثر الرسامين للصور المصغرة من فناني الفرس الذين كانوا في جميع العصور موضع الاعجاب الكبير من الفنانين الانكليز .

وليس في اللوحات التصويرية لاي شعب الا عدد قليل يفوق اللوحة التي رسمها السر غودفري نلر (١٦٤٦ — ١٧٢٣) لدوق مونغث ، من حيث الاهتمام بالوجه البشري ، ولعل هذه اللوحة هي انبل ما انتجت ريشة هذا الفنان .

ولا يترتب على الفنان في انكلترة ان يكون خاضعاً لنقائص المجتمع او غير عابىء بها . فقليل من الانكليز من يفوقون الرسام وليام هوغارث (١٦٩٧ — ١٧٦٤) في صراحته او نقده اللاذع لمثالب المجتمع الانكليزي ، فهوغارث كانت قد تغلغلت في نفسه عاطفة الاهتمام ببني جلدته من الانكليز وبكل ما يخصهم . ولكن عينه البصيرة النفاذة كانت ترى كل شر من الشرور التي كان يعانيها مجتمع القرن الثامن عشر من السياسة المرتشية والسكر والاحياء القذرة وخيانة الحرمات الزوجية والمقامرة والتبذير . وقد صور هذه الرذائل كما رآها في سلسلة عديدة الحلقات من الصور المسلية للغاية وليس فيما خلفه لنا التاريخ سجل ابلغ بياناً مما سجلته هذه الصور عن الاحوال الاجتماعية في انكلترة ابان القرن الثامن عشر . على ان ما كان يتحلى به هذا الفنان من الرفق وروح الفكاهة مما يظهر انه جزء لا يتجزأ من الطبيعة الانكليزية لم يجعله ساخراً قاسياً وانما جعله متهكماً يثير نقده دائماً الابتسام . وجاء من بعده خلف من الفنانين كانوا رسامين ومصورين بقدر ما كانوا نقادا اجتماعيين ، وكان اعظمهم شأناً رولاندسون وغلراي . وما زالت سنتهم قائمة متبعة الى اليوم في الصور الهزلية الممتازة التي تخرجها انكلترة .

ولما كان الرجل الانكليزي يكاد لا يتصور الحياة غير مصحوبة بالطبيعة وبالحيوانات ، كان من الجلي ان رسامي المناظر الطبيعية ورسامي الحيوانات ينهضون بقسط مهم في الفنون الانكليزية . فنحن نكاد لا نجد رسماً واحداً من عمل جون كونستابل (١٧٧٦ — ١٨٣٧) — وهو اعظم من اخرجتهم انكلترا من رسامي المناظر الطبيعية — خال من الحيوانات التي يرافقها الانكليز واهمها الكلاب والخيل . وقلما فات عظماء رسامي الصور الوجهية في القرن الثامن عشر فرصة يمكنهم فيها ادخال الكلب في لوحاتهم الوجهية الانيقة .

وربما لا تكون هناك صورة واحدة تجمع من العناصر التي تلهم الفن الانكليزي عدداً اكبر مما تشتمل عليه صورة « يوم سباق الدربي » من ريشة فنان القرن التاسع عشر و.ب. فريث فالاهتمام بالادب ورواية القصص والعناية بالفرد البشري

•

مشهد في يوم رجل مسرف لهوغارث





ام وطفلها لرومني

والالعاب الرياضية والحيوانات – كل هذه تجد لها متسعاً في تلك اللوحة الشاسعة التي تقص عدداً من القصص المختلفة. على ان هذه اللوحة، على الرغم مما فيها من ثروة وتشعب فني، تعرض ما تسجله، لا في صورة جمهور مجهول يشاهد سباق دربي، بل في صورة عدد من الرجال والنساء لكل منهم شخصيته المتازة، وملامحه المشخصة، وشوقه، ومسراته ومكدراته.

والانسان ليس مخلوقاً من لحم فقط، كما ان الحياة لا تتألف من الاشياء الصغيرة المرئية المتصلة بالحياة اليومية. وكثيراً ما حاول الرسامون الانكليز ان يمعنوا النظر الى ما وراء المظهر الخارجي للوجه الانساني او العالم الجثماني للوصول الى الحقائق الخالدة. فوليام بليك المشهور بتصوفه، وشعره وتصويره كان يرى ان الوجه البشري والجسم البشري مرآتان للحقائق الروحانية البليغة، ولقد عبر في لوحاته عن تصور الانسان للملأ الاعلى تعبيراً تصويرياً سامياً. كذلك حاولت رابطة مذهب الرجوع بالفن الى ما قبل رافائيل قرابة آخر القرن التاسع عشر ان تتخذ الشخصية البشرية وسيلة للافصاح عن بعض اصولها الالهية.

فالروح الانسانية في الفن الانكليزي، على ما رأينا، ذات مدى فسيح، وليست مقتصرة على رسم صور وجهية فحسب. انها تأنف من الادعاء والتقليد والتهريج المسرحي والعواطف الكاذبة والحذلقة وتستلهم وحيها من حب قوي واهتمام عظيم لكل شيء يتعلق بالفرد في شخصيته البشرية وحياته بناحيتيها الروحانية والمدنية. ومهما يكن شأن التقلبات الجمالية التي اعتورت الفن الانكليزي في تاريخه الطويل فانه لم يكن يوماً ما مفتقراً الى تلك الروح الانسانية. حتى ان رساماً بلغ من الاهمية درجة عظمى هو هوسلر (١٨٣٤ – ١٩٠٣) قد تأثر بها، كما يتبين ذلك بطريقة تهز القلوب من صورته الوجهية المشهورة التي صور فيها والدته المسنة. ولئن كانت هذه اللوحة الوجهية يتمثل فيها ما للانوثة المسنة من وقار وخشوع وعذوبة في القرن الماضي، فان اللوحة الوجهية «سجيا عازفة الكمان» التي بريشة اغسطس جون (المولود سنة ١٨٧٩) يتمثل فيها ما للانوثة في عصرنا الحاضر من اقدام ونشاط واستقلال. ولقد تختلف هاتان اللوحتان في روحها واسلوبها ومعظم تفصيلاتها الجمالية ولكن هناك صفة مشتركة بينهما تجمعهما، تلك هي انسانيتهما العميقة.

والدة الفنان لهوسلر



تكريم الاستاذ عمر ابو ريشة

في المعهد الثقافي الفشبلاني العربي

بقلم توفيق بالش

✡

ان هذا المعهد يستقبل الشخصيات الممتازة، واصحاب المراكز العالية، وبنوع خاص يستقبل بكل عطف وتقدير، القيم الروحية، التي يعتبرها كمستودع الطاقة للامة، فمنها ينبعث الاشعاع لينير طريق التقدم، ومنها تصدر الحركة، لتدفع بها بوثبات واسعة وكبيرة في سبيل الرقي والنجاح.

وبناء عليه فاني اتشرف بالترحيب بسعادة الوزير، بوصفه شاعراً ملهماً وخطيباً قديراً، وليس كوزير مع كل احترامي لمقامه الرفيع، وذلك لانه شق طريقه الى المجد في عالم الادب،

واصبح على ابواب الخلود بروائع قصائده التي يتردد صداها في سائر الاقطار العربية ، فشتان ما بين وظيفة زمنية زائلة مهما كانت عالية ، وبين مجـــد حقيقي ابدي ، ينبثق من الشخص نفسه ، يفرض الاحترام والتقدير والاعجاب اينما حل وحيثما رحل حتى ولو بعد الموت .

ان شعر عمر ينقسم الى نوعين ، النوع الاول في الحقـــل الوطني القومي ، والثاني في الحقل الروحي النفساني ، والشعر القومي معروف لدى الجمهور اكثر من النفساني ، بداعي دقته ولذلك فهو يتمتع بتقدير واعجاب الخاصة التي تترنم بهوتتذوقه

وقد اجاد عمر في كلا الحقلين وامتاز بجعل اشعاره عالمية على قدر الامكان حتى القومية منها بمعنى انه اذا نظم قصيدة بداعي حادث وطني ، فهو لا يهتم بحصر معانيها في الحادث ، بل يستغل الحادث لكي يسكب في تلك القصيدة كل ما اوتيه من الخيال والابتكار والابداع فتنطبق القصيدة على الانسانية جمعاء وعلى مر الدهور ، فيترنم بها ابن هذا العصر كما يترنم بها ابن العصور القادمة ، بما انها مركبة من معان واخيلة ابدية وسرمدية .

والآن سوف اعرض شيئاً من شعره القومي فقط . ان احد المفكرين قال « ان الكلمة تستمد قوتها من قوة العقيدة الراسخة في نفس قائلها » وهذه النظرية تنطبق عـــلى شاعرنا المحبوب مع اضافة الفصاحة والبلاغة .

ان عمر قـــد امتاز بقوته الروحية ، سواء اكان ذلك في اشعاره او خطاباته لايقاظ الامة وبعثها ، وتغذيتهـا بالنشاط الروحي ، لتشعر بالاباء والعزة والكرامة امام كل حـادث وطني ، بعكس بقية الشعراء الذين يتأثرون بالحوادث فيقفون امامها والدموع تسيل من عيونهم ، فيلتجئون لندب حظ الامة منـاشدين الشعب الاشتراك معهم في النوح والبكاء ، فبدلا من ان يستفزوا الامة لمضاعفة جهودها لمواجهة الخطر يثبطون همتها وبالعكس فان عمر قد اتخذ من وفاته للزعيم الخالد ابراهيم هنانو موضوعاً لتمجيد الرجولة والبطولة والزعامة الحقة ، ويجب ان لا ننسى ان هنانو كان نحيلا كالخيال ، انما كان يتحلى بقوة روحية نادرة ، فتأملوا كيف صوره شاعرنا ببيت واحد :

روح على شفة الخلود ، وهيكل ... خاو ، على قدم الفنا ينهار

وسوف اعود الى بعض ابيات هذه القصيدة فيما بعد .

لو لم ينظم الاستاذ عمر سوى هذه القصيدة فقط ، لحق له ان يتمتع بالخلود ، نظراً لما اودع بها من الحقائق الابدية عن البطولة ، وقد تسامى بالابتكار والابداع ، فجعل منها قطعة فن نادرة .

لدى اطلاعي على هذه القصيدة تذكرت احـــد ملوك الـ Vickings من ابطال كارليل ، عندما كان على فراش الموت ، فقد امر قواده ان يضعوه في مركب شراعي ، ويشعلوا فيه النار ويتركوه وحده في عرض البحر عملا بتقاليد بطولة الـ Vickings الذين لا يموتون الا في المعارك الحربية ، وهكذا فعمر كان ولم يزل يوحي الاباء والثقة بالنفس والشجاعة والاقدام والتضحية في الجهاد ، وقد ربح بذلك تقدير واعجاب الشبيبة المثقفة ، وكهرب الشارع بسحر خطبه الحماسية ، لانه قد شق طريقه الى قلوبهم ، وساعدهم على الايمان بامـانيهم المكبوتة ، فهو لا يندب ولا ينوح بـــل يتأثر ويغضب ويتمرد لمس الكرامة ويقول :

اصبح السفح ملعباً للنسور ، ... فاغضبي يا ذرى الجبال ، وثوري

ان للجرح صيحة ، فابعثيها ... في سماع الدنى ، فحيح سعير

ومنها :

الوقار الذي يشيع عليه ... فضلة الارث ، من سحيق الدهور

او ليس هذا البيت الاخير يدل على نفسية عمر شخصياً ؟

وبعض الاحيان يتجرع كأس المرارة لدى تخاذل قومه ، ويكاد ان يستولي اليأس عليه امام لامبالاة شعبه ، فيتألم ، ومن قلب مفعم بمرارة خيبة الامل يتساءل ؟

لمن تعصر الروح يا شاعر ... اما لضلال المنى آخر ؟

رويدك لا تسفحن الخيال ... ببيداء ليس بها سامر

ويعتزل الناس لكي يفكر بهدوء ، وفي تلك العزلة ينتصب امامه « هاملت » بكل ما فيه من قوة وارادة وايمان ، فيخاطب نفسه على غرار هاملت : اكائن انا ام لست كائناً ؟ فاذا كنت موجوداً فهناك رسالة يترتب علي انجازها ، فيتخذ خطة هاملت ويسعى للتنفيذ .

ويغضب كغضبة اليشع النبي عندمـــا يئس من اسرائيل

---

* المعهد الثقافي التشيلاني العربي في سانتياجو مؤلف من التشيليين الاسبانيين ومن العرب ويضم نخبة من الادباء . وقد احتفل المعهد باستقبال الشاعر المبدع الاستاذ عمر ابو ريشة وزير سوريا المفوض في الارجنتين والتشيلي استقبالا حافلا . والاستاذ توفيق بالشناتب رئيس المعهد صاحب هذا الخطاب من الم شخصيات الجالية العربية وهو يرأس عدة جمعيات ومعاهد ويشغل منصب المديرية والمستشارية في اكبر المعاهد الاقتصادية والصناعية وعرف في الاوساط التشيلانية بثقافته العالية واتقانه عدة لغات وهو خريج الجامعة الامريكية في بيروت .

ويصب معه جامات غضبه قائلا « الكل قد زاغوا والتطخوا ، لم يبق رجل صالح » فيدوي صوته في الامـة العربية في جميع اقطارها من اقصاها الى اقصاها ، فيهز اعصـــابها ، ويبرهن بذلك انه الابن الروحي لعنصره ، وينظم تلك القصيدة العصماء، التي كانت كشحنة كهربائية هزت نخوة الشبيبة التي تكهربت لدى سماعها ، فطوقت شاعرها المحبوب بصدورها وقلوبها ضد السلطة ، وحدث ان سقطت الحكومة امـــام هذه القصيدة واليكم بعضها :

امتي هل لك بين الامم — منبر للسيف ام للقلم
اتلقاك ، وطرفي مطرق — خجلا من امسك المنصرم
او ما كنت اذا البغي اعتدى — موجة من لهب اومن دم
امتي كم صنم مجدتـه — لم يكن يحمل طهر الصنم

في كل كلمة من هذه القصيدة ينبض دم الثورة ، فما هذه الغضبة الا صوت الالم الصـارخ من اغوار النفس المتمردة على تلك الاوضاع، ليهز اعصاب الامة ويستفزهم ابناءها الاحرار.

والان اليكم بعض ابيات من قصيدته عن الزعيم هنانو :

وطن عليه من الزمان وقار — النور ملء شعابه والنـار
تغفو اساطير البطولة فوقه — ويهزها من مهدها التذكار

ومنها :

ذكراك عرس المجد، لم يكسر له — دف ولم يحطم له مزمار
تشدو بنات النور لحن جلاله — وعلى سواعدها اللدان الغار

وقد ذكر بلوتاركو ان ديموستينوس الخطيب الخالد، كان يقول كلما شاهد فوسيون في حفل ما ، هوذا الرجل الذي يهدم خطاباتي ببلاغته ، وكذلك روى بلوتاركو ان فوسيون كان مرة يقطب الحاجبين مهتما ، وسئل عن السبب فاجاب انه يفكر كيف يتسنى له اختصار خطابه امام الاثينيين . فاذا كانت البلاغة تعني حصر اكبر المعاني في اقل الكلام ، فالاستاذ ابو ريشة قد ضرب رقماً قياسياً بهـذا المعنى ، تأملوا « ذكراك عرس المجد » تصوروا معي ما في العرس من الفرح والغنـاء والرقص والاهـازيج والسرور الشامل ، ولكن اي عرس ذلك الذي لم يكسر له دف بل يستمر ؟

انما هو عرس المجد ، وما لكم الا ان تشاهدوا في عـــالم الخيال مهرجان المجد منذ عهد الفراعنة حتى يومنا هذا ، حينما يصبح البطـل نصف اله ، واضيفوا الى ذلك عرائس المروج ، ينشدن لحن جلال ذلك المجد ، وعلى سواعدهن الغضة اكاليل

بعد المؤتمر العلمي العربي

✡

يجب ان يتحرر العرب في هذا العصر من مقاييس الماضي ويحرروا عقولهم من التقيد بالاغراض المألوفة ويعملوا على تكوين اغراض جديدة . وبذلك يمكنهم ان يتقدموا ويسايروا الحضارة في ركبها ، كما يصبح في مقدورهم ان يقاوموا التيارات المعاكسة لتقدمهم ونموهم ليحققوا كيانهم ويعيشوا في صميم الحياة لا على هامشها عاملين منتجين سائرين في طريق النمو والارتقاء . والعرب لا يحصلون على شيء من التحرر من المقاييس الماضية ولا يستطيعون تحرير العقل الا اذا اخذوا بالعلم واسلوبه وعاشوا بالعلم واستخدموه في التربية والاقتصاد وسائر ميادين الحياة . فالطريقة العلمية ، اذا تفهم الناس معناها وتشربوا روحها فانها تعينهم على فهم الحياة وحل مشكلاتها ، كما تنشىء فيهم عقيدة راسخة وهي انهم يستطيعون السيطرة على الطبيعة سيطرة نافعة للانسان فينظرون الى المستقبل بدلا من الماضي ويتحررون من المقاييس الماضية والمقاييس غير المضبوطة ويكون تقدمهم متصلا ومستمراً .

لقد نزلت كارثة فلسطين بالعرب اجمعين وكانت نتيجة حتمية للاوضاع والاساليب التي اتبعها العرب في الجهاد والحياة فهي بعيدة عن العلم ، لم تقم على اساس ، تقيدت بمقاييس الماضي واغراضه فكانت الفوضى وكان الارتجال في السياسة والحركات

ان عدم التقيد بالعلم في الحياة وفي حل المشكلات الاجتماعية والسياسية قد ادى الى الارتجال الذي نراه متغلغلا في اعمال العرب ونواحي نشاطهم فلو كان العرب مدركين لاهمية العلم واسلوبه ومتشبعين بروحه لساروا في الحياة على اسس من الارقام ولأعدوا امكانياتهم على دعائم من العلم والتنظيم .

ولقد جاء المؤتمر العلمي العربي دليلا على ان العرب بدأوا يدركون ما للعلم من اهمية في الحياة ومن اثر في التقدم واستغلال امكانيات البلاد وكنوزها والذي نرجوه من الاتحاد العلمي العربي الذي انبثق عن المؤتمر العلمي ، ان يخرج برسم الخطوط الرئيسية وتحديد الاركان التي يجب ان تقوم عليها مناهج التربية وبرامج التعليم في البلاد العربية مما يدفع الى التقدم والتحرر من الاغراض المألوفة ومقاييس الماضي لينشأ جيل بعقلية تطلعية يؤمن بالتقدم والاسلوب العلمي وبرسالته في الحياة وقابلياته في الانتاج والابداع

ولنا وطيد الامل ان يخرج الاتحاد العلمي العربي بالتوجيهات والوسائل التي تؤدي الى تنظيم الحيوية الفكرية والتعاون الفكري بين علماء العرب وادراك ما للعلم واسلوبه من اهمية في اقامة صرح النهضات بحيث يتمكن العرب من معالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تجابههم في سائر ديارهم . فالعلم ضروري لاستقصاء الامكانيات الصناعية والزراعية والتجارية ، والعلم ضروري لتنفيذ المشروعات التي ترفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي .

لقد آن للعرب ان يدركوا انه لا يمكنهم ان يعيشوا الا بالعلم ولا ان يكون لهم كيان محترم الا اذا ساروا سيرته واتبعوا طريقته

« الاهرام » **قدري حافظ طوقان**

ينشدن لحن جلال ذلك المجد ، وعلى سواعدهن الغضة اكاليل الغار ، هل هنالك صورة للمجد اروع وابدع من ذلك ؟

ان هذه القصيدة الفريدة ، لهي تذكرة مرور الى الخلود ، سواء اكان ذلك الزعيم هنانو ام الاستاذ ابو ريشة .

يحكى ان الشاعر بيرون عندما شعر بخطر الموت في اليونان ، نظم قصيدة واسماها « الوداع » وقد كانت تفيض بالحب والحنان ، وقد وجه تلك القطعة الفنية الى امرأته ، ومعروف لدى الجميع ان بيرون كان يتغنى بتعذيب كل امرأة اتصل بها ، ومع ذلك فلدى اطلاع مدام دي ستايل على تلك القصيدة الرائعة وتذوقها تمنت لو كانت تلك المرأة التاعسة بشرط ان تكون تلك القصيدة موجهة لها بدلا من مستر بيرون :

ذكراك عرس المجد لم يكسر له دف ولم يحطم له مزمار
تشدو بنات النور لحن جلاله وعلى سواعدها اللدان الغار

الا يحلو الاستشهاد لدى تذوق هذين البيتين ؟

سنتياجو - شيلي **توفيق بالش**



٢٦ سبتمبر ١٩٥٣ — رفض وزير خارجية اسرائيل الطلب الذي تقدم به الجنرال فون بنيك رئيس لجنة المراقبة الدولية لوقف اعمال تحويل مجرى نهر الاردن الذي تقوم به السلطات الاسرائيلية .

— وقعت في مدريد معاهدة دفاعية بين اسبانيا وامريكا يحق بموجبها للولايات المتحدة استخدام القواعد الجوية والبحرية الاسبانية لمدة عشرة اعوام مقابل مساعدات عسكرية واقتصادية بقيمة ٢٢٦ مليون دولار

٢٧ — صرح مدير تحرير جريدة « كومسوم لوسكايا » الروسية في موسكو ان لا صحة للانباء التي اذيعت من ان بيريا موجود خارج الاتحاد السوفياتي .

٢٩ — أعلن الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي ان قوات اسرائيلية مسلحة احتلت قسماً من منطقة العوجة وهي منطقة مجردة يرف عليها علم الامم المتحدة ويشكل احتلالها خطرا مباشرا على سلامة الاراضي المصرية

اول اكتوبر ١٩٥٣ — اصدرت محكمة الثورة في مصر حكمها بالاعدام على اول المتهمين الذي مثل امامها وهو السيد ابراهيم عبد الهادي الرئيس السابق للحزب السعدي واحد رؤساء الوزارة السابقين .

٢ — صرح ناطق بلسان البيت الابيض ان الرئيس ايزنهاور يدرس الان مشروع معاهدة عدم اعتداء تعقد بين العالم الغربي والاتحاد السوفياتي

— وقعت في وشنطن الولايات المتحدة وجمهورية كوريا الجنوبية معاهدة دفاع مشتركة لتقوية الجهاز السلمي في منطقة الباسيفيكي

٣ — اكد الماريشال تيتو في خطاب له انه لن يسمح ليوجوسلافيا بالانضمام الى الرأسمالية الغربية والتخلي عن الشيوعية مهما بلغ تعاون يوجوسلافيا مع الدول الرأسمالية في الحقل الخارجي .

٤ — قرر مجلس قيادة الثورة بمصر تخفيض حكم الاعدام الصادر على ابراهيم عبد الهادي الى السجن المؤبد مع الاشغال الشاقة .

٥ — الغت الحكومة العراقية الاحكام العرفية التي اعلنت على اثر حوادث نوفمبر ١٩٥٢

٦ — اصدرت محكمة الثورة في مصر حكمها بالاشغال الشاقة المؤبدة على السيد ابراهيم فرج الوزير الوفدي السابق والتهمة الموجهة اليه العمل ضد مصلحة الوطن والاتصال بحركة ذات مبادىء هدامة .

٧ — بدأت الجمعية العمومية للامم المتحدة مناقشة القضية المراكشية وقد تخلف الوفد الفرنسي عن حضور الجلسات .

٨ — أعلنت حالة الطوارىء لمدة شهر في اصفهان واجتمع قواد مقاطعات شيراز والاهواز واصفهان لدرس اجراءات ضمان الامن في جنوبي ايران . وقام حزب توده بتظاهرات في خورمشار واغلقت الحوانيت والمكاتب في طهران احتجاجاً على طلب النيابة العسكرية بايقاع حكم الاعدام بالدكتور مصدق

— أعلنت نظارة الخارجية الامريكية في بلاغ رسمي ان الولايات المتحدة وبريطانيا قررتا سحب قواتها من تريستا وتكليف الحكومة الايطالية ادارة القطاع « أ »

— اذاع راديو بلغراد تعليقاً قوي اللهجة على قرار امريكا وبريطانيا بشأن ضم المنطقة « أ » من تريستا الى ايطاليا وقد اوضح ان يوجسلافيا ستعمد الى القوة اذا اقتضى الامر لمنع الايطاليين من وضع يدهم على تريستا

٩ — بعثت الحكومة اليوجسلافية بمذكرة شديدة اللهجة الى بريطانيا وامريكا احتجاجاً على انسحاب قواتهما من المنطقة « أ » من تريستا وتسليمها الى ايطاليا .

— قررت الحكومة البريطانية تعليق الدستور في جويانا البريطانية وطرد الوزراء المنتسبين الى الحزب التقدمي الاشتراكي واعلان حالة الطوارىء في البلاد .

١٠ — أصدر الملك عبد العزيز آل سعود مرسوماً بتأليف اول وزارة بالمملكة العربية السعودية وقد عين الامير سعود ولي العهد والقائد الاعلى للقوات المسلحة رئيسا للوزارة

١١ — أعلن الماريشال تيتو ان القوات اليوجسلافية ستدخل القطاع « أ » من منطقة تريستا في اللحظة التي يطأ فيها اي جندي ايطالي ارض هذا القطاع .

١٢ — ارسل الاتحاد السوفياتي مذكرة الى انجلترا وامريكا يحتج فيها على تسليم القطاع « أ » من تريستا الى ايطاليا .

١٣ — قدم اندره فيشنسكي رئيس الوفد السوفياتي لدى هيئة الامم طلباً بدعوة مجلس الامن للانعقاد سريعاً للنظر في مشكلة تريستا لانها بلغت من التأزم حدا يهدد السلام .

— وقعت امريكا واليونان اتفاقية يسمح بموجبها للقوات الامريكية باستخدام بعض المطارات والقواعد البحرية اليونانية

١٥ — اذاعت قيادة الجيش الاردني ان قوات اسرائيلية كبيرة شنت هجوماً عنيفاً استعملت فيه المدفعية على بعض القرى العربية في قضاء رام الله اسفر عن ٧٠ قتيلا عربياً وتهدم قسم من القرى .

١٦ — بحث وزراء خارجية امريكا وفرنسا وبريطانيا في مؤتمرهم المنعقد في لندن قضايا كوريا والمؤتمر الهادي والهند الصينية واعتداء اسرائيل

١٧ — قررت امريكا وبريطانيا وفرنسا دعوة مجلس الامن لبحث الاعتداء الاسرائيلي على الاردن

١٩ — عقد مجلس الامن جلسة لبحث حالة التوتر بين الدول العربية واسرائيل وقد اعترض الدكتور شارل مالك مندوب لبنان على الصيغة العامة التي وضع بها طلب الدول الغربية بدون الاشارة الى حادث معين بالذات، وقد أيده فيشنسكي مندوب الاتحاد السوفياتي قائلا ان الدول الغربية لا تريد تفسير موقفها .

وقد قرر مجلس الامن استدعاء الجنرال بنيك كبير المراقبين الدوليين الى نيويورك ليقدم للمجلس تقريرا عن حالة التوتر .

٢٠ — أعلن المستر ايدن وزير خارجية انجلترا ان المحادثات البريطانية المصرية حول قاعدة قناة السويس قد بلغت مرحلة متقدمة

— وافق مجلس الامن على ان يدرج الطلب الذي تقدمت به الدول الغربية بعد ان ادخل عليه تعديل تقدم به مندوب اليونان بحيث امسى كما يلي : القضية الفلسطينية بحث تطبيق اتفاقيات الهدنة مع اشارة خاصة الى اعمال العنف الاخيرة ولاسيما الحادث الذي تعرضت له قرية قبية

٢١ — انعقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في عمان لبحث الاعتداء الاسرائيلي على الاردن .

مطابع الرهبنة الشويرية - بيروت
تلفون : ٤١-٦٦